

الإمام محمد أبو زهرة

مقارنات الأديان

الديانات القديمة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مَجَلَّةُ الْبُزْهَرَةِ

محاضرات في

مقارنات الأديان

القسم الأول

الديانات القديمة

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الافتاحية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا
هادى له ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله
وصحبه أجمعين .

أما بعد فقد نشأت مسلما في قوم مسلمين ، وآمنت منذ نشأت بالله
الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولكني كنت مشغولاً منذ نعومة أظفاري أن
أعرف العقائد التي تسود الفكر الإنساني ، في شرق الأرض وغربها لأعرف
مكان العقيدة الإسلامية بينها مع إيماني بأن القرآن هو الحق الذي لا ريب
فيه ، وما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو الصلاح الذي لا يرتقه فساد .

ولقد درست ما وسعني الوقت ، وانمكن من الإطلاع ، فقرأت ما جاء
في الديانات القديمة ، وما عليه الديانات السماوية بعد أن حالت وتغيرت ،
لأعرف ما فيها من قضايا ، ما يتفق مع حكم العقل ، وتستسيغه الأفكار ،
وما لا يقبله العقل ، بل يلفظه ، كما يلفظ اللسان مسيخ الطعام ، وما
تمجه الأذواق .

ولقد انتهيت كما ابتدأت مؤمناً بالقرآن وعقيدته ، والنبي وشريعته ،

لأن العقيدة الإسلامية فيها تنزيه العقول من الأوهام ، وتطهيرها من
الأرجاس والشريعة الإسلامية فيها صلاح الإنسانية .

ولقد أقيمت هذا الذي وجدته في الديانات القديمة دروسا في كلية
أصول الدين ، ورأى معهد الدراسة الإسلامية أن ألقيه دروساً فيه ، . هذه
خلاصة الدروس التي ألقيتها على طلبة ذلك المعهد المبارك إن شاء الله تعالى .

وقد قسمت الدراسة إلى قسمين ، قسم الديانات القديمة الباقي بعضها إلى
اليوم ، وقد درست فيه المصرية القديمة ، والبرهمية ، واليهودية ،
والكونفشيوسية ، وفي القسم الثاني النصرانية بوصفها الحاضر ، وقولها ،
وجامعها وفرقها والله سبحانه وتعالى هو الموفق ، والهادى إلى سواء السبيل
ولولا توفيقه ما أنجزنا عملاً .

١٥ من ذي القعدة سنة ١٣٨٥

٧ من مارس سنة ١٩٦٥

محمد أبو زهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الديانة المصرية القديمة

١ - أول ما يلاحظه الدارس لديانات العالم القديم أن أشد الأمم تديناً المصريون القدماء ، حتى لقد قال شيخ المؤرخين هيرودوت : « إن المصريين أشد البشر تديناً ، ولا يعرف شعب بلغ في التدين درجتهم فيه ، فإن صورهم بمجملتها تمثل أناساً يصلون أمام إله ، وكتبهم في الجملة أسفار عبادة ونسك ، .

وذلك كلاء حق - فتلك الآثار الباقية التي تحكي لنا حياة المصريين جلها - قام على أساس من التدين والاعتقاد ، ولو لا انبعاث هذا الاعتقاد في النفس ما قامت تلك الأهرام ، ولا نصبت تلك الأحجار ، ولا شيدت هاتيك التماثيل التي لا تزال تسترعى الأنظار بجمالها وزخرفها وروعها ، وقوة بليانها ، ومغالبتها الزمان ، وهي قائمة الأركان ثابتة العمد ، ينحدر عنها الزمان ، ولا يزيد لها القدم إلا زوعة وبهاء ، بل لو لا الاعتقاد المستكن في النفس بحياة الأرواح ووجودها في غلاف من الجسم لا يبلى ، ما اخترعوا تخييط الأجسام الذي أبقى طائفة من الأجسام البشرية غيرت عليها السنون وهي لا تزال متماسكة لم تتحلل ، ولم تتناثر أشلاؤها .

٢ - ولقد كانت شدة تدينهم سبباً في أن دخل الدين عنصراً عاملاً قوياً في كل أعمالهم الخاصة والعامة ، فالدين المسيطر حتى في الكتابة في الحاجات

الخاصة ، وفي الإرشادات الصحية ، وفي أوامر الشرطة ، وسلطان الحكم .
ولقد تعددت بسبب ذلك الكائنات المقدسة ، والأشياء التي يعتبر احترامها
من احترامهم آلهتهم ، أو هي بذاتها تبلغ رتبة الآلهة ، وتصل إلى مكابها
في التقديس والعبادة ، وإن فلسفة المصريين نفسها ليست إلا صوراً للعقيدة
وإعمالاً للفكر لكي يصل إلى ما يؤيدها ويجعلها منسجمة مع قضايا العقل ،
أو على الأقل لكي يجعل القضايا الديدية متناسبة ، يتناسك بعضها مع بعض ،
ولا تنافر بين أجزائها ، ويضعها في وحدة منطقية تجمعها ، وتضم متفرقاتها
في إطار فكري واحد .

٣ - ولقد شده بعض العلماء بحال التدين هذه التي شملت المصريين
وتغلغلت في كل شيء . عندهم إلى درجة تعاليم لده أن يكونوا غير موحدين
مع تلك القوة في التدين والتشدد فيه ، فزعم لهذا أنهم كانوا في الجملة موحدين .
ومن وقع في هذا العلامة ماسبيرو ، فقد قال : « وكان إله المصريين واحداً
فرداً ، كاملاً ، عالماً ، بصيراً ، لا يدرك بالحس ، قائماً بنفسه ، حياً ، له الملك في
السموات والأرض ، لا يحتويه شيء ، فهو أب الآباء ، وأم الأمهات ،
لا يفنى ، ولا يغيب . يملأ الدنيا ، ليس كمثل شيء ، ويوجد في كل مكان . »

وهذا كلام ليس من الحق في شيء ؛ لأن المصريين لم يكونوا موحدين ،
ولذا أدرك هذا المؤلف خطأه ، فكتب في طبعة ثانية من كتابه ما نصه :
« تدلنا الآثار على أنه كان لكل من الرهبان منذ أزمان الأسرة الأولى آلهته
الخاصة وهذه الآلهة مقسمة إلى ثلاثة فرق متباينة الأصول : آلهة المرنى ،
وآلهة العناصر ، والآلهة الشمسية ، فهذا الكلام يدل على أنه رجع عن رأيه
القديم ، أو على الأقل هو تقييد لرأيه القديم ، ومنع له من الإطلاق . »

٤ - وفي الحق أن الدارس الذي يريد أن يجافي الشطط يجب عليه
الأبجكم بأن مدينة مكثت خمسة آلاف سنة ، وكان أهلها على ديانة واحدة

غير سماوية، لم تشر عليها قوانين التحول والتدرج، والانتقال من حال إلى حال، ومن صورة إلى صورة، ومن غاية إلى غاية؛ لذلك لانستطيع أن نقول إن ديانة المصريين مكثت أكثر من أربعين قرناً لم يعرّها التغيير والتبديل، وإنهم كانوا على عقيدة واحدة طوال تلك السنين؛ إن ذلك ضد طبائع الأمم، وضد قانون التحول والانتقال.

فلا بد إذن من أن نقول إن المصريين كانت ديانتهم تتغير، وعقائدهم تتبدل تبعاً لسنة الله في الأمم والكون ما دامت ديانتهم لم تعتمد على أصل سماوي، بل إن الديانات السماوية نفسها قبل الإسلام كان يعروها التحريف والتغيير والتبديل، وتفهم على غير وجهها عند ما يكون الناس على فترة من الرسل.

٥ - والواقع أن عقائد المصريين كانت تتخالف بتخالف الأقاليم نفسها، وكانت آلهتهم محلية، فكل مدينة كانت لها آلهتها. فكان موطن أوزيريس في أيديوس، وفتاح في ممفيس، وأمون في طيبة، وهوروس في أدفو، وهاتور في دندرة، الخ... ومكانة الإله تتبع مكانة المدينة التي يعبد فيها، وللآلهة مراتب بعضها فوق بعض، فكانت بمثابة سلسلة مراتب إلهية تتبع مراتب المقاطعات السياسية.

ومن هذا يفهم أنه لم يعرف المصريون حتى التوحيد الإقليمي بأن يجتمعوا على آلهة واحدة في كل إقليم ويتفقوا عليهم مهما تباين جهات إقاماتهم، بل كانت آلهتهم محلية، كل إقليم له آلهة خاصة به.

٦ - بيد أنه يجب علينا أن نعتقد أن دعوات إلى التوحيد الخالص بعبادة إله واحد فرد صمد لم يولد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد - قد توردت على العفل المصرى . وبعيد أن نتقياً تماماً عن المصريين في ذلك

لخمسة آلاف سنة ازدهرت فيها حضارتهم ونمت - أن تكون قد وردت عليهم
عقيدة التوحيد بدعوة من رسول مبین .

ولقد ورد في القرآن الكريم ما يفيد أن يوسف عليه السلام ، وهو
نبي كريم من أنبياء الله دعاهم إلى عبادة الواحد القهار ، فلقد ورد في سورة
يوسف ما حكاه الله عنه من كلام لصاحبي السجن فقد قال حاكياً عنه :
« إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة
آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك
من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون .
يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن
الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر
الناس لا يعلمون . »

من هذا الخبر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، نحكم
مستيقنين أن دعوة إلى التوحيد قد وردت للبصريين ، فهذا يوسف وهو
في السجن يدعو صاحبيه إلى الدين القيم ، وهجر عبادة ما سموه آلهة ، وإن
هي إلا أسماء سموها وإن ما يزعم لها من ألوهية ما هو إلا نحلة ينحلونها
إياها ، وأوصاف يصفونها من غير أن تنطبق على الموصوف في شيء ،
فألوهيتها وصف يذكر وليست حقيقة تعرف . .

ولقد مكن الله ليوسف في أرض مصر ، واستولى على خزائن الدولة
وصار ذا سلطان مبین فيها ، وهو رسول من رب العالمين ، فلا بد أن يكون
قد دعاهم بجهرة إلى الدين القيم ، ولا بد أن يكون قد أجابه منهم أناس ،
ونكص عن الإجابة غيرهم .

ومهما يكن من شيء فقد كانت دعوة يوسف إلى التوحيد لها أثرها ،

ولكن المصريين ألفوا عبادة ما أنتجه خيالهم من ألوهية زعموها لبعض الأشياء والحیوان ، فلما جاءتهم دعوة إلى التوحيد صريحة قوية بما تستمده من بیئات عقلية ، وأدلة منطقية ، تستقیم مع قضايا الفكر . آمن من آمن ، ومن لم یکن نافذ البصيرة ، قوى المدارك ، وقع فی حيرة بین قديم قد ألفه وتغلغل فی مكثون قلبه واستولى علی أهوائه ومشاعره ، وجديد قد عرفه ورأى فیہ استقامة فی الفكرة ، وقوة فی الاستدلال ، فكان فی شك ومرية .

ویظهر أن صدی دعوة یوسف استمر أجيالا یعمل فی النفس المصرية ترى نور الحق منبثاً فیما أثر عن یوسف ، والنفس قد استهواها ما أثر عن الآباء والأجداد . ولذا قال تعالی حاكياً عن لسان مؤمن آل فرعون عندما حثهم علی عدم قتل موسى : « ولقد جاءكم یوسف من قبل بالبیئات فما زلتم فی شك مما جاءكم به ، حتی إذا هناك قلتم لن یبعث الله من بعده رسولا ، كذلك یضل الله من هو مسرف مرتاب ، فذلك الاضطراب بین القديم المسألوف ، والجديد الحق المعروف ، هو الشك الذی استمر وافیہ بعد یوسف علیه السلام ، وجاءت حکایته علی لسان مؤمن آل فرعون .

٧ - لم یکن المصريون إذ ذل قد خلوا فی كل عصورهم من دعوات إلى التوحيد نعلم منها یقیناً دعوة یوسف علیه السلام ، ودعوة موسى علیه السلام . ثم إن الهكسوس الذین جاءوا إلى مصر ، وحكموها أمدأ غیر قصیر لا یمكن أن یكون مجيئهم قد خلا من دعوات دينية ، وخصوصاً أنه ورد فی بعض الآثار أن إبرهیم علیه السلام قد زار مصر ، فلا بد أن یكون التوحيد قد كان موضع دعاية له ، وإن لم یکن موضع إجابة منهم .

وإن احتكاك المصريين بالآسيویین فی الحروب الدائبة المستمرة لا بد أن یكون هو أيضاً قد أطلع الغزاة والفاحين علی ما فی آسيا من دیانات وآثار النبیین من شرائع وعقائد وأحكام ، وكل ذلك لا بد أن ینال شيئاً من النفس المصرية ، وإن لم ینل القلوب ، ویستولی علیها استیلاء تاماً .

ولكن تلك الأغذية الدنيئة ، وتلك الدعوات التوحيدية التي كانت
تجىء إليهم الحقة بعد الحقبة لم ترفع المصريين إلى مرتبة الموحدين ، بل
يسرد عقائدهم التعدد في جملة تاريخهم ، بل لأنهم لم يصلوا إلى التوحيد المحلى
بأن يجمع المصريون على آلهة واحدة ، بل تعددت الآلهة بتعدد الأقاليم
كما بينا .

٨ - ولكن يظن أن الكهنة - وهم الفلاسفة أيضاً - كانوا يجتهدون في أن
يجمعوا المصريين على آلهة واحدة ، ولذلك كانوا يلشرون عقيدة تعتبر هي
العقيدة الرسمية للدولة ، وإن انحرف الشعب عنها انحرافاً مختلف في قوته
وكثرت باختلاف الأقاليم المصرية ، ولم تكن تلك العقيدة متحدة في كل
أدوار مصر القديمة بل حالت واعتراها قانون التحول ، فتغيرت من دور
إلى دور . ولنذكر خلاصتها ، وما عراها من تغير .

تعتمد العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين على أسطورة قديمة ترجع
إلى ما قبل التاريخ في نسبتها ، وهي أن إله الإنبات والخصوبة أو إله النيل
واسمه أوزيريس قد عمل على تكوين مملكة إلهية مكونة من أخته وزوجته
إلهة الحكمة والتشريع والسحر واسمها إيزيس ، ووزيره إله التدبير والعلم
واسمه توت وغيرهم من الآلهة . ولكن أخا أوزيريس واسمه سيت وهو إله
الشر والقمحط نفس على أخيه ما ناله من مكانة وإجلال ودفعه الحقد إلى
إيدائه ، فغدر به ، واحتال عليه حتى وضعه في تابوت ثم أنفله عليه وألقى
به في اليم ، فلما تفقدته زوجته ولم تجده أخذت تنقب عنه حتى عثرت عليه
ولكن قبل أن تتمكن من فتح التابوت هاجمها سيت وأخذ التابوت منها
عنة ، ومزق أخاه اثنين وسبعين شلوا بعدد مقاطعات مصر إذ ذلك ،
ونثر هذه الأجزاء في المقاطعات ، في كل مقاطعة شلو ، ولكن مع ذلك
لم تستئس زوجته ، بل ألقى الوفاء في قلبها شجاعة لا يأس معها ، وبجد
ودأب جمعت الأشلاء من كل مكان وألقت كل جزء في موضعه من الجسم

وقرأت عليه بعضاً من التعاويذ والرقى السحرية ، فعاد إلى الحياة ، ولكنها حياة قصيرة ، كانت بقدر ما أنسل ابنه (هوروس) ثم خادر هذه الحياة إلى الحياة الأخرى ليقوم بالحساب والميزان لأهل الدنيا .

وهنا تكون المعركة بين هوروس وعمه سيت ، إذ ينكر نسب ابن أخيه ويدعى أنه الوريث الوحيد لعرش أخيه في المملكة الإلهية ، ويرفع في سبيل ذلك دعوى إلى محكمة الآلهة ، فتب ليزيس مدافعة عن ابنها وشرها فتقضى المحكمة بثبوت النسب بشهادة توت ، ولكن النزاع لا ينتهى بذلك ؛ بل يأخذ كل يعمل على إفساد أعمال الآخر في الكون . وتكون دائرة هوروس في الإنتاج والعمارة ، ودائرة سيت في الإفساد والتدمير .

وصار من آثار ذلك التناحر ما كان بين الوجه القبلي والوجه البحري من حروب مستمرة ، بل قد صار كل رئيس من رئيسى الوجه القبلي والوجه البحري أحد هذين الإلهين .

واستمرت الحال على ذلك حتى جاء مينس الأول ، فجمع في سلطانه حكم مصر العليا والسفلى ، وأعلن أن الإلهين قد حلا في جسده ، ومن ثم ابتدأت عقيدة تأليه الملك ، أو حلول روح الإله فيه .

ولقد أخذت الفلسفة الدينية من ذلك الحين تعمل على التوفيق بين خلود الآلهة ، وفناء الجثمانية ، لأن فرعون يموت كما يموت سائر الناس ، والإله باق . فكيف يحل الباقي في الفاني !! ثم كيف يموت من ارتفع إلى مرتبة الآلهة !! إن الحبس يؤكد الموت ، وعقائدهم تنافيه .

ولقد دفنتهم الرغبة الملحة في التوفيق بين ما يحسون وما يعتقدون إلى أن قاوا : إن روح الإله هوروس ذات ثلاث شعب أولاها الروح الدنيا ، وهى التى تحل في فرعون الزمان ، ثم تنتقل إلى من يليه ، وتفيض عليه بقدسيها ، والثانية الروح العليا الحاكمة في السموات والأرضين ، والثالثة

روح نبقى في جسد فرعون الميت ، ونقوم بالنصح الفرعون الحي . ولأن نبؤ هذه الروح إلا إذا بقى الجسم متماسكا ، ولذا عملوا الحيلة لذلك ، وبنوا الأهرام وشيدوها لتكون حفاظاً للجسم .

٩ - ولم يستمر فرعون موضع القداسة لحلول هوروس خليفة أوزيريس في الألوهية ، بل ارتقى وصار يحل فيه رع كبير الآلهة ، وعلا عن سلطان أوزيريس عندما حالت العقيدة من ثلوث إلى تاسوع ؛ وذلك لأن العقيدة المصرية كانت قائمة على تقديس ثلوث مكون من أوزيريس ، الآب ، وهوروس الابن ، وإيزيس الأم ، والجميع يرجع إلى واحد ، ولكن لم تستمر العقيدة على هذا التثليث ، بل انتقلت إلى تقديس تاسوع بدل ثلوث ؛ وذلك التاسوع يرجع إلى قوى الطبيعة الظاهرة المؤثرة في تحولات الأشياء ظاهراً . فقد فرضوا أن العنصر الأول الذي تكونت منه الأشياء هو الماء ، وأول ما ظهر من الماء هو زرع (الشمس) ومنه ظهر الهواء (سرا) والفراغ (تيفينه) ومن اجتماعهما كانت الأرض (جيب) والسماء (توت) ومن اجتماع الأخيرين نشأ النيل (أوزيريس) والأرض الخصبة (إيزيس) والصحراء (سيدت) والأرض القاحلة (نيفتيس) .

وقد أعطى المصريون هذه الأشياء صفة الألوهية وأضفوا عليها صفات التقديس ، ولم تكن هذه هي الآلهة وحدها ، بل هناك رب الأرباب ، وأطلقوا عليه اسم (توم) وهناك آلهة أخرى منها مات ، ابنة رع (وهي إلهة الحقيقة والعدل) .

ولقد قال بعض العلماء : إن هذا التاسوع أفكار فلسفية علمية أراد الفلاسفة أن يبينوها للعامة فلم يجدوا طريقاً لتثبيتها في قلوبهم إلا أن يرفعوها إلى مرتبة الآلهة . وعلى أية حال قد وصلت تلك الأشياء إلى درجة الآلهة في نظرهم سواء أكان ذلك بتقديس المصريين من تلقاء أنفسهم أم بتلقين

الفلاسفة والعلماء . والحق أن الفلسفة المصرية قد امتزجت بالدين امتزاجاً شديداً ، فكان الكاهن هو الفيلسوف والعالم ، وإذا كان الفلاسفة هم الكهان ، فكل ما يقولون دين لا فلسفة ، ماداموا يدعون العامة إليه ، وربما كانوا يضيفون معلومات فلسفية إلى الدين ويدعون الناس إليها على أنها دين ، فإذا اعتنقها الناس ، فهي جزء من عقائدهم على هذا الأصل .

كل ما بيناه كان هو المذهب الرسمي ، أما عقائد العامة فكانت مختلفة باختلاف الأقاليم على النحو الذي بيناه .

١٠ - تقديس الحيوان عند قدماء المصريين :

اتفق المؤرخون على أن المصريين كانوا يعبدون الحيوان وتضافرت على ذلك الأخبار وبلغت حداً استفاضت معه ، فلا يستطيع أحد أن ينكرها . ولقد كانوا يتحمسون في عبادتهم للحيوان إلى حد لا يحفلون معه بقوى مهما تكن رهبته أن يمس ذلك الحيوان بسوء .

يروى أنه في إبان سلطان الرومان على مصر قتل أحدهم قطاً . وقد كان موضع عبادة في ذلك الوقت ، فهاجم القاتل جمهور من الشعب وفسكوا به ولم ينجه من صاب نعتهم أن أرسل الملك إليهم شفاعته فيه على لسان أحد قضاته فما قبلوا شفاعته ، وهم الذين اشتهروا أمام الرومان بالضراعة .

ويحكى بعض المؤرخين أنه رأى في أثناء زيارته لمصر في خوالي عصورها تمساحاً مقدساً في طيبة فيقول : « كان هذا الحيوان رابضاً على سيف غدِير فاقترب منه الكهنة ، وتقدم اثنان ففتحاه فاه وحشاه ثالث حلوى وسمكاً مشوياً وعسلاً مصفى . »

ولقد قال أحد الكتاب في هذه العبادة : « على هياكل المعابد سجف منسوجة بالحرير فإذا ما تقدمت إلى نهاية المعبد لترى التمثال تقدم إليك كاهن في سكينة ووقار ، وهو يرتل مزاميره ، فيزج قليلاً من الستار ليربك

الإله ، فلا ترى إلا قطعاً ، أو تمساحاً ، أو ثعباناً ، أو حيواناً مؤذياً ، فكان إله المصريين دابة ملونة على بساط أرجواني ، ويحكى هيرودوت أنه شاهد نيراناً قد شبت في مصر ، فوجد السكان جميعاً قد اتجهوا إلى إنقاذ القطط قبل أن يتجهوا إلى إطفاء النيران ، وذلك لكي لا يمس معبودهم بأذى .

١١ - وقد اختلفت عبارات المؤرخين في الأمر الذي حفز المصريين إلى عبادة الحيوان .

(أ) فيجىء في عبارات بعضهم أن السبب هو أن المصريين الأقدمين قبل أن تتوحد كآلهتهم ، ويخضعوا لسلطان واحد كانت قبائلهم تتنازع وتتناحر فينبغى رينهمون ، فيرمز المنتصرون لقرام بعض الحيوانات القوية ولقرى خصومهم بعض الحيوانات الضعيفة ، وقد استمرت تلك الرموز دالة على ما تشير إليه ردهاً طويلاً من الزمان ، ثم نسي الناس المعنى وبقى الرمز ، وصارت أسماء تلك الحيوانات باقية في الأذهان مقرونة بالتهـيس . محاطة بهالة من التأليه ، فقدست بلافق بين قوى وضعيف ، ومن غير نظر إلى المعنى الذي كانت ترمز إليه ، والفكرة التي كانت مقصودة منها وصارت عبادتها على أنها آلهة ، لأنها رموز لا تتصار أو انهزام .

(ب) ويجىء في عبارات بعض المؤرخين أن الحيوانات ما كانت تعبد لأنها آلهة ولكن لأنها رموز للآلهة ، فكان لكل إله من آلهتهم رمز خاص ويرمز لتوت برأس أبي قردان ، ويرمز لآمون إله طيبة برأس كبش ، وفتح برأس عجل « ولما كان لكل مكان إلهه فله أيضاً حيوانه المقدس ؛ وقد يكون الحيوان مقدساً في مكان بينما هو غير مقدس في غيره . فالتمساح الذي كان يعبد في طيبة مثلاً كان يطارد ويقتل في غيرها . »

ولما سرت فكرة تقديس الحيوان إلى العامة لم يعبدوا على أنه رمز للآلهة بل عبده على أنه من الآلهة نفسها ، وبذلك صار عندهم في صف الآلهة ، وليس رمزاً لها .

(ج) ويرجع بعض المؤرخين أن علماء الدين من المصريين الأقدمين كانوا يعتقدون حلول الآلهة في الأجسام؛ بل أنهم ما كانوا يتصورون عالماً روحانياً مجرداً من الجثمانية، فالروح لا بد لها من جثمان تحمل فيه، حتى أنها عند الموت لا تفارق الجسم إلا على عودة سريعة إليه، وإذا كان ذلك شأن الأرواح فهو أيضاً شأن الآلهة، لا بد من ماوى تأوى إليه في الحياة، وجسم تحمل فيه. وقد أعملوا فكرهم في الأحياء التي عساها تكون موضع حلول الآلهة، فزعموها في الأحياء التي تتصل بالخشب والإنتاج، والبذر والإثمار، وأحلوها في غيرها لميزة لاحظوها أو توهموها. فأحلوا آلهتهم أحياناً في ثور، وأحياناً في قط، وأحياناً في غيرهما. وصاروا يعبدون هذه الحيوانات على أنها أوعية قد حلت فيها الآلهة وليست هي الآلهة. فقوم عبادة الحيوان على هذا الرأى الراجح، هو اعتقاد الحلول عند قدماء المصريين.

والعبادة كانت مقصورة على واحد من آحاد الحيوان المقدس يختار لصفات تلاحظ فيه. فمثلاً في عبادة الثور ما كانت كل آحاده تعبد، بل يختار واحد منها للعلامات في جسمه كان يعرفها الكهنة بملاحظات مهمة تتناول وضع الشعرات وضماً يمثل الأشكال المطلوبة ولو بتمثيل بعيد على نحو ما تمثل النجوم في السماء الدب أو القيثارة.

ويقول هيرودوت في وصف العجل الذى قد وافقت أوصافه العلامات عند الكهنة: «أليس هذا عجل شاب لا تستطيع أمه أن تلد غيره، ويقول المصريون أن بريقاً يهبط من السماء عليها، وأن هذا البريق ينبئها بأنه الإله أيسس. ويعرف هذا العجل ببعض علامات، وشعره أسود، وفي جبهته غرة مثلكة بيضاء، وعلى ظهره صورة نسر، وتحت لسانه صورة عجل وشعر ذيله مضاعف».

وإذا مات الحيوان المختار للحلول عم الحزن مصر، على أن الكهنة

لا يتركونه يعيش أكثر من خمس وعشرين سنة لأنه إذا بلغها أغرقوه في
عين مخصصة للشمس .

ولقد انتقلت بعد ذلك عقيدة المصريين من اختصاص حيوان من بين
أحاد نوعه بجلول الآلهة فيه إلى اعتقادهم أن الآلهة تحل في النوع كله فكل
البقر مقدس ، وكل القطط مقدسة ، وهكذا جلس كل حيوان نال مرتبة
التقديس بجلول الآلهة فيه ، ولقد دفعتهم عقيدة الحلول هذه إلى اعتقاد أن
الحيوانات المقدسة أوتيت علم الغيب ، والتعريف بالمستقبل ، ولم في ذلك
أساطير وقصص جاد ببعضها الخيال الخصب وألبس بعضها لبوس الحقيقة
والصدق الوهم الذي يرين على النفس ، فلا يجعلها ترى الأشياء على حقيقتها .

ومهما يكن من شيء فالمصريون كانوا يعبدون الحيوان ، ولا يمكن أن
يكون سبب منطقي قد دفعهم إلى ذلك ، بل لا بد أن يكون الدافع وهماً باطلاً
وخيالاً فاسداً ، لأن ذلك الاعتقاد باطل فلا يمكن أن يوصل إليه إلا
نظر منحرف وفكر غير قويم ، ومقدمات لا تمت إلى المنطق بلسب ،
ولا يربطها به سبب .

١٢ - الحياة الآخرة والنفس :

لعل أروع ما في العقيدة المصرية القديمة ، اعتقادهم الحياة الآخرة ،
وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية . فقد كانت هذه الدنيا في نظرهم فترة
قصيرة ، بعدها حياة لها أمد غير محدود ، بل إن دنيانا ليست إلا ممراً إلى
ذلك الخلود . وقد قام اعتقادهم بالحياة الآجلة بعد هذه العاجلة على أساسين :
وأحدهما ، أن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الشر والخير والبر والفاجر ،
وكثيراً ما نرى في هذا المعترك الشر يلتصر على الخير ، والفساق على الأبرار .
فلو لم يكن هناك يوم كله للخير ، وكله على الشر ؛ بحاسب المسيء على إساءته
ويكافئ المحسن بإحسانه ما استقام العدل الإلهي ، فمن العدالة الإلهية إذن

أن يكون يوم آخر يكون للأبرار على السجار ، وللأطهار لا للأشرار .
وأن تكون الحياة الباقية لبتصر فيها الخير ، ويتصف فيها من الشر .

، ثانيهما ، اعتقادهم في النفس الإنسانية فهم يعتقدون وجود نفس
تفصل عن الجسم ؛ وإن كانت نحل فيه ، وأن تلك النفس ذات أربع
أحداها الروح ، وهي أساس القوى في الإنسان ، والثانية العقل والإرادة ،
والثالثة صورة من الأثير أو مادة أدق منه على هيئة الجسم تماماً ، والرابعة
الجوهر الخالد السامي الذي يشترك فيه الإنسان مع الآلهة ، وهو سر الوجود
والعلو ، وهذه الشعبة من شعب النفس متصلة بعالم الآلهة ما دام الإنسان على
قيد الحياة ، فإذا مات اتصلت به اتصالاً وثيقاً . فأما الروح فهي التي تظل
تردد على الإنسان في قبره إلى أن يجتاز الحساب ، ويصل إلى مرتبة الثواب ،
وعندئذ تعود إليه فيشعر بما يشعر به الأحياء .

ولقد كانوا يعتقدون أن النفس لا تعيش إلا إذا كان الجسم سليماً ،
وسلامته هي التي تجعله صالحاً لعودة الروح إليه بعد أن فارقت بالموت ،
ولذا بذلوا أقصى الجهد في سبيل المحافظة على الجسم ، وجعله صالحاً للحلول
النفس فيه بعد الموت ، وقد بعث ذلك فيهم الحيلة لأن يحترقوا بتحصيل الموتي ،
وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعدم التحلل لكي تعود النفس إلى
غلافها . ولقد اجتهدوا مع ذلك في إقامة آييل للوقى تشبه أجسامهم تمام
الشبه ، لكي نحل فيها النفس إن كان الجسم غير صالح ، وقد عددوا التماييل
للبيت الواحد ؛ لأنه عسى أن يكون أحدهما غير صالح فيكون الآخر صالحاً ،
ولكي تكون الروح في فسحة من الأماكن ، فتنتقل من هذا إلى ذاك .

وكانوا يعتقدون أيضاً أن الميت أو روحه في العالم الآخر يحتاج إلى
ما يحتاج إليه الأحياء في هذه الدنيا من طعام وشراب ، وأن ما يقدم من ذلك
في الدنيا قرباناً على أرواح الأموات يفيدهم في الآخرة ، ولذلك تكون دروح

الميت في أشد الألم إذا لم تخدم القرابين من طعام وشراب ، وما إلى ذلك من مطاعم الأحياء في الدنيا .

١٣ - لهذه المعاني والخواص التي وصفوا النفس الإنسانية بها ، والعدالة الإلهية التي تسود الأكوان ، اعتقد قدماء المصريين أنه لا بد من حياة أخرى فيها النعيم المقيم للأخيار ، والعذاب الآليم للأشرار ، ثم إنه قبل أن يصل الميت إلى الثواب أو العقاب لا بد من الحساب ، والحساب يكون أمام محكمة تتألف من اثنين وأربعين قاضياً يرأسها أوزيريس نفسه ، وتسال المحكمة الشخص عما قدم من خير ، وما قدمت يدها من شر . وقد خاض المؤرخون في بيان الفضائل التي كانت سند فضائل في نظر المصريين في هذا المقام ، وقوام هذه الفضائل سلبى ، دعامته عدم إلحاق الأذى والضرر بغيره من الناس ، وإيجابى دعامته نفع الناس وإطعام القانع والمعتز ، وإذا انتهى الحساب أمر المحاسب أن يمر على الصراط ، وهو طريق محدود فوق الجحيم ، فإذا اجتازه الشخص نجح وارتقى إلى مرتبة الآلهة ، وإذا سقط من فوقه انتهى إلى واديه الأفاعى والحيات التي تتولى عقابه بقسوة ، حتى ينال الجزاء الآو فى على ما قدمت يدها .

وترى من هذا أن الإبرار من الأموات يرتفعون إلى مرتبة الآلهة ؛ ولهذا سرى عندهم عبادة الموتى ، وأضافوا إليهم صفات الألوهية وخواصها في نظرم ، بل إنهم كانوا يعتقدون أن أرواح موتاهم تتصل بعالم الأحياء وتلبسهم بأسرار المستقبل ، فتحذرهم مما عساه يكون في سيلهم من أخطار ، وتبشرهم بما عساه ينالهم من خير ، وقد ملئت أساطيرهم بشئ كثير مما يؤيد اعتقادهم فيما يزعمون .

كتاب الموتى :

١٤ - هو كتاب مشتمل على آداب وفضائل ، وهلى ما تلقته الروح

لتحسين الإجابة أمام محكمة الحساب ، وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين ، يتعدون بتلاته وهم أحياء ، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات يزعمون أن أحد الآلهة قد كتبه بيده ، وقد جاء عن منزلة الكتاب في أحد أبوابه « إن الكتاب يعلى شأن الميت في أحضان رع ، ويجبوه السبق له ، ثم ، ويجعله عظيما لدى أوزيريس ، ومرهوب الجانب لدى الآلهة . وكل ميت وضع له هذا الكتاب تخرج روحه نهارا مع الأحياء ، وتعود إلى الآلهة ، ولا يعترضها عارض من أحد ، تدنيه الآلهة منها ، وتلسه لأنه شهبها ، ويقفه هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء . هذا الكتاب خفي ، وهو حق لم يعلم به أحد . إنه مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت . إنه لا يراه أحد سواك ، ومن علمك اياه فلا تزد عليه شيئا من خواطرك وخيالك ، بل قم بكل ما يدعوك إليه وسط هو التخطيط ، إنه سر لا يصل إليه عامي . إنه غذاء الميت في عالم الدنيا ، وقوت روحه في الأرض ، يجعله حيا دائما ، فلا يعلو عليه شيء في الأرض ولا في السماء ،

والكتاب مشتمل على جميع الكلمات السحرية التي تستعمل لعلاج الأمراض ، ويهتم على الصلوات والأدعية ، وعلى ما يجب للميت من تحنيط ، وطقوس دينية ، ويحكي ما يقوله الميت الذي أقيمت له الطقوس التي يدعو إليها الكتاب ، فيقول ، عندئذ يقول : تحية لك يا أبي أوزيريس لقد حنطت لحومي هذه ، ولن يتحلل جسمي ، فأنا كامل غير محسوس ، مقتديا بك يا أبي أوزيريس ، جبذا الإله في صورة رجل لا يتحلل جسمه .

وفي الكتاب فصل قيم بما ينبغي أن تقواه الروح أمام محكمة الآلهة في اليوم الآخر ، وقد سماه شامبليون اعترافا سلبيا ، وإليك بعضه : « ياسادة الحقيقة ، إنني حامل الحقيقة ، إنني لم أكن أحدا ، ولم أغدر بأحد ، ولم أجعل أحدا من ذري قرابتي في ضنك ، ولم أهدن في موئل الحقيقة ، ولم أمارج عملي بشر قط ، وجانيت الضر والأذى ، ولم أعمل باعتباري

رئيس أسرة ما ليس من محباها ، ولم أكن سبياً في خوف خائف ، ولا
 إعواز معوز ، ولا ألم متالم ، ولا بؤس بائس ، لا أقدم على ما لا يليق بالآلهة
 فلم أجمع أحداً ، ولم أبك أحداً ، ولم أقتل نفساً ، وما حرضت أحداً على
 قتل أو خيانة ، ولم أكذب ، ولم أسلب المعابد ذخائرها ، ولا المومنين
 طعامها ، ولم ارتكب أمراً لا يليق مع كاهن في كهنوته . ولم أغل في الأسرار ،
 ولم أطف الكيل والميزان . ولم أسرق الماشية من مراعاها ، ولم أصد طير
 الآلهة ، ولم أذبح الماء في عهد الفيضانات ، ولم أحول مجرى ترعة ، ولم أطلق
 الشعلة في ساعتها ، ولم أخدع الآلهة في قرابينها المخارة . فانانتي ، أنانتي ،
 أنانتي . .

وجاء في الكتاب أيضاً ما نقوله المحكمة عز الميت الذي تزكبه أعماله :
 « ليس فيه شر ولا خطيئة ولا فساد ولا دنس . وليس عليه اتهام ، ولا في
 أعماله ما يثير الاعتراض ، فقد عاش من الحق وتغذى بالحق ، وإن فعاله
 لتشرح الصدور ، وهي بما يطلبه الرجال ، ويسر الآلهة ، وقد أخلص للآلهة
 محبته ، وأعطى الخبز من كان خارباً ، والماء من كان ماديماً ، واللباس
 من كان عارياً ، وأعار الزورق لمن ليس عنده ... »

ويقول جوستاف لوبون في التعليق على هذا الكلام : « ألا يظن من
 يقرأ هذا الكلام أنه يسمع صوت قرون سحيفة تتكلم من قبل بوذا
 والمسيح ، معلنة قانونها اللطيف للإحسان والنفع العام .

وفي الحق انه مهما تكن في الديانة المصرية القديمة من أروهام وعفاند
 فاسدة ، لا تستمد من المنطق قوتها ، فإن الآداب التي اشتملت عليها ، والفضائل
 التي تدعو إليها ، خصوصاً الجانب السلبى منها ، كانت معيماً خصماً ، فبست
 منه الديانات غير المنزلة وحكمة الحكماء شيئاً كثيراً ، لأنها لم تخل من
 خير يقبس ، وحكمة تقتنص ، والله في خلقه شنون .

البرهنية

(١) الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد ، لها مدنية قديمة ، وحضارة توغل في القدم إلى أبعد أغوار التاريخ ، غير أن تلك الحضارة قد انبثقت الصلة بيننا وبين جزء كبير منها ، ولذا صار كنزا مدفوناً في بطون القدم ، لم يكشف عنه التاريخ بعد ، والاثارة الباقية التي اتصل تاريخها هي الجزء من تاريخهم التي ابتدأ بالغزو الآري . غير أن الكشف والبحث والنفوش ، وما تنطق به الأحجار التي لم يؤثر فيها كرم الغداة ومر العشى . كل ذلك يشير إلى أن في طيات ذلك اللغين الذي لم ينشر من قبره بعد حضارة زاهية ، ومدنية سامية لسكان تلك الأصقاع المترامية الأطراف الخصبه الجناب ، الكثيرة الخيرات ، يد أن تلك الإشارة لانزال مبهمه ، تشير إلى وجود حضارة سامية . ولم نبين كنهها وحقيقتها وكل مناحيها ، وحال السكان من غنى أو فقر ، ونظم الحكم ومقدار العلوم ، وفروعها ، وغير ذلك من مقومات الحضارة ، وعناصر تكوينها ، فنكل هذه الأمور لانزال البحث جارياً في كشفها وإعلاتها ، وقد أخذت الأسباب تتوافر ، ومادة الاستقراء والتتبع تكون .

أما بعد الغزو الآري فقد تكونت حضارة اتصلت سلسلتها وأحاط بها التاريخ ، وهي متماسكة الأجزاء ، متصلة الحلقات ، فإن التاريخ يروي أن قبيلة آرية غزت الهند حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقرضت على الهنود مدينتها وحضارتها وديانها ، وجليبوا إلى حضارة الهند التي كانت لهم قبل الغزو ، فطمسوا معالمها ، وقوضوا دعائمها ، ولم يتركوا

أحراراً في ديانتهم القديمة ، بل فرضوا عليهم ديانتهم هم ونسخوا آلهتهم ،
واستبدلوا بها آلهتهم التي يعبدونها هم ،

(٢) وهنا تختلف كلمة المؤرخين ، وتباين مناحي آرائهم في جزئية نشير
إليها ، ولا نلم بتفاصيلها ، تلك هي مقام العنصر الآري الأول ، أهور أوربا ،
ورحل فريق منها إلى ربوع آسيا ، فكان منه في فارس والهند قبائل وأخفاذ
وطون بتلك الرحلة ، وعلى هذا ان رأى أكثر العلماء والباحثين ، يقولون إن
الهند كانت قبل الغزو الآري مسكونة بقوم ساميين ، ثم جاءهم الآريون
غزاة فاتحين .

ولكن يرى بجمار هذا الرأى آخرون أن الآريين كان مقامهم الأول في
التركستان ، ومن التركستان انسابوا في بعض بلاد آسيا كفارس والهند ،
واستغرقوا كل أوربا ، وقد كان هذا هو الرأى القديم إلى أن غلب عليه
الرأى الثاني بماجد من بحوث كما يزعم العلماء الأوربيون .

ومهما يكن من شيء فإن للهند مدنية تضرب في القدم إلى أكثر من ثلاثة
آلاف سنة ، ولكن قد طمست آثارهم بحضارة أخرى أتت بها غزاة
فاتحون آريون ، سواء أكانوا موافقين في العنصر للسكان الأصليين أم
غير موافقين .

ويهمنا نحن في دراسة تاريخ ديانتهم أن نقول : إن أولئك الغزاة كانوا
يحملون معهم ديانة أخرى غير ديانة الهند القديمة . والديانة البرهمية التي
سندرسها في بحثنا هذا ليست هي الديانة القديمة ، بل أصولها من ديانة هؤلاء
الفاتحين ، وسليتها بعد ذلك فضل بيان .

(٣) الديانة القديمة : أما الديانة القديمة فإن التاريخ لا يشير إليها إشارة
واضحة ، كما قلنا ولكن جملة ما يقال فيها ، وتشير إليه الآثار أن قوام هذه

الديانة عبادة النيران ، فإنها كانت المعبود المقدس الذى تقدم إليه القرابين من خبز وأعشاب وخرم ، ويتولى الكهنة ، وهم سدنة معابد النيران ، القيام بما يقتضيه التقديم من طقوس ورسوم فى تلك الديانة ، ولم تكن النار الإله المتفرد بالالهية ، بل كان يشاركها فى التقديس آلهة أخرى منها الشمس ، لما تفيض به على الكون من أشعة مضيئة ، وحرارة منعشة للأجسام . ومنها حيوانات مخيفة كتنين مفزع أو وحش هائل ، وكانوا يعتقدون أن هناك عالماً آخر وهو عالم الأموات وأن الأحياء إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب ، وقدرة على التأثير فى الكون ، والمشاركة فى تصرفه وتديره ، مجرد مغادرتها الأجسام ، وقد استمرت تلك الديانة هى السائدة فى الهند ، حتى جاءت ديانة الفاتحين .

(٤) الديانة الجديدة وهى البرهمية : نسجت تلك الديانة القديمة ، وحلت محلها ، ولكن هل لنا أن نعتقد أنها محتماحوا ، وقامت على انقاضها ، وشادت عليها دعائم بنائها !! ان التاريخ يثبت لنا إن العقائد لا تنتزع من النفوس انتزاعاً ، وتستل من القلوب ، كما يستل دقيق الشعر بما يعلق به ، ويدخل فى نسيجه ، إن العقائد التى تستمك فى القلوب ، وتستقر فى ثنايا النفس ، لا تنزع منها بفعل قاهر ، مهما تكن سطوته ، ولا بطنيان جبار مهما تكن قوته ، لأن العقائد تتصل بالنفوس والأرواح ، والقهر والغلبة ساطانها على الأبدان ، لا على القلوب ، ولئن فعلت الدعاية والإقناع فعلمها ليكونن أقصى غاياتها أن يغذيا النفس المتدنية بعقائد قديمة مألوفة لها ، بغذاء جديد يتفاعل مع مافى أغوارها من عقائد ، ويتمازج معها ويمثل منها عنصر جديد قد نال من كلا المتمازجين أشطراً ، وأخذ من كل واحد نصيباً ، يتفاوتت بتفاوت قوته ، ومقدار استمكانه فى النفس ، وقوة اقتناعها به .

وإذا طبقنا تلك النظرية التى تصل إلى مرتبة البدهيات المقررة عند

مؤرخي الأديان، فلا بد أن نقول إن الديانة الجديدة لم تبح الديانة القديمة محوًا، ولم تزل كل آثارها، بل إن الناس قد ما زجروا بين قديمهم وما عرّض لهم، ولا بد أن نقول مع ذلك إن أولئك الفاتحين لم يسلكوا مسلك القهر والغلب فقط في حمل الناس على الدين الجديد، بل أضافوا إلى ذلك الإقناع والتأثير بالحجة، واجتمع لدى الهنود من تفاعل القديم والجديد في نفوسهم مزيج لعله أقرب إلى الجديد في صورته، ولا ينافي القديم في معناه.

٥) العقيدة البرهمية: يقسم أبو الريحان البيروني الهنود بالنسبة لاعتقادهم في البرهمية إلى خاصة وعامة، ويفرض أن الخاصة موحدون وغيرهم وثليون، وهو يقول في هذا المقام: «لما اختلف اعتقاد الخاص والعام في كل أمة بسبب أن طباع الخاصة تنازع المعقول، وتقصّد التحقيق في الأصول، وطباع العامة تنقف عند المحسوس، وتقتنع بالفروع، ولا تزوم التدقيق، وخاصة فيما افلتت فيه الآراء، ولم تنفق عليه الأهواء».

وبعد ذلك يبين اعتقاد الخاصة بأن معبودهم واحد أزلي، فيقول: «واعتماد الهند في الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله، القادر الحكيم الخبي المدبر، المنفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، ولنورد لك شيئاً من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط، قال السائل في كتاب باتجل من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته».

قال الجيب: هو المستغنى بأزليته ووحدايته عن فعل، لمكافأة عليه براحة تؤمل وترنجى، أو شدة تخاف وتتنق، والبريء عن الأفكار، لتعالیه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة، والعالم بذاته سرمدًا، إذ العلم بطريقه يكون لما لم يكن بمعلوم، وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما أو حال. ثم يهرل السائل بعد ذلك: فهل لعن الصفات غير ما ذكرت؟ فيقول الجيب:

العلم التام في القدر لا الممكان ، فإنه يجلب عن التمكن ، وهو الخير المحض التام الذي يشترطه كل موجود ، وهو العلم الخالص عن دنس الهوى والجهل . قال السائل : أقتضيه بالكلام ، أم لا ؟ قال المجيب : إذا كان عالما فهو لا محالة متكلم .

قال السائل : فإن كان متكلماً لأجل علمه ، فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم ؟ قال المجيب : الفرق بينهم هو الزمان فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ، ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم ، فكلامهم وإفادتهم في زمان ، إذ ليس للأمر الإلهية بالزمان اتصال ، فآله سبحانه وتعالى عالم متكلم في الأزل ، وهو الذي كلم إبراهيم وغيره من الأوتار على أنحاء شتى ، فبينهم من أتى إليه كتاباً ، ومنهم من فتح الواسطة باباً ، ومنهم من أوحى إليه فقال بالفكر ما أفاض عليه . قال السائل : فمن أين له هذا العلم ؟ قال المجيب : عليه على حاله في الأزل ، وإذ لم يجهد قط فذاته علمه ، لم تكتسب علماً لم يكن له ، كما قال في نيز الذي أنزل على إبراهيم : اهدوا واهدوا من تكلم بيئذ ، وكان قبل بيئذ .

قال السائل : كيف تعبد من لم يلحقه الإحساس ؟ قال المجيب : تسميته ثبت أنيته فآخبر لا يكون إلا عن شيء ، والاسم لا يكون إلا لمسمى ، وهو إن غاب عن الحواس فلم تدركه ، فقد عقلته النفس . وأحاطت بصفاته الفكرة ، وهذه هي عبادته الخالصة ، وبالمواظبة عليها تنال السعادة .

ويعتبر هذا الكلام الذي جاء في كتبهم عقيدة الخواص . أما العوام فيرى أنهم انصرفوا عن تعاليم تلك الكتب ، وزادوا أقاويل من عندهم .

ويقول جيلند : ثم إن تجاوزنا الخواص إلى عوامهم اختلفت الأقاويل عندهم . وربما سمحت ، كما يوجد مثله في سائر الملل . بل في الإسلام من التشبيه والإجبار .

وغند الكلام على عبادة الأصنام يتكلم بما يفيد أن عبادة الأصنام نحلة
العوام لا الخواص ، فيقول : « معلوم أن الطباع العامية نازعة إلى المحسوس ،
نافرة من المعقول الذي لا يعقله الا العالمون ، الموصوفون في كل زمان ومكان
بالفلة ، ولسكونه إلى المثال عدل كثير من أهل الملل الى التصوير في الكتب
والهياكل كاليهود ، والنصارى ، والمنانية . »

ويسترسل في ذكر الأشباه والأمثال ، ثم يبين الخرافات التي اتخذت
أساسا لعبادة الأوثان ، مسنداً أساس ذلك الى ملك من ملوكهم .

(٦) هذا كلام البيروني ، كله ناطق بأن خواص الهند موحدون ، وعوامهم
وثليون ، ولنا نظرة في كلامه ، وذلك أنه في الاستدلال لدعواه نقل نصوصا
من كتبهم ، وأن هذه لا تمنع أنه يوجد في الكتب ما يناقضها ، ففيها ما يشير
إلى الاقانيم الثلاثة التي سنيها ؛ ففي هذه الكتب عبارات تفيد وحدة الإله
المسيطر بينما فيها ما يفيد التثليث أيضاً ، ويجب أن يفهم هذا محمولا على ذلك
ليكون منهما وحدة مؤتلفة الأجزاء ، مترابطة الأفكار ، فإذا فسرنا الوحدة
إذن بما يتفق مع عقيدة التثليث والحلول التي سنيها ، لانكون فكرة التوحيد
التي نقل عبارتها مفيدة لمعنى التوحيد الذي يفهمه المسلمون .

ولو سلمنا أن الكتب التي نقل عنها لا يفسر فيها التوحيد إلا بالمعنى الذي
فهمه معاشر المسلمين ، وما تدل عليه ظواهر عبارتها ؛ فمن أين جاء لنا أن
الخواص لم ينحرفوا عن مسلك تلك الكتب ؟ وإنما لتجد في التوراة التي
يقرؤها اليهود اليوم عبارات وأحكاما دينية قد تجانف عنها اليهود جميعاً
اليوم ، خواصهم وعوامهم في ذلك سواء ، ولو كان قد حكى لنا أخبار أعين
موحدي الخواص الذين لقبهم وشاهدتهم وتحدث إليهم ، وحاورهم وعرف
حقيقة نحتهم لتلقينا كلامه بالقبول ، ولصدقناه في كل ما يدعى من توحيد
الخواص ، أما نقل نص الكتب فليس بكاف لإثبات أن الانحراف لم يقع ،

فإن الانحراف عن المبادئ الدينية إذا وقع شمل الخواص والعوام . بل في بعض الأحيان يبدأ بالانحراف من يكون في مرتبة الخواص . وإن الفرق التي ضربها في الإسلام مثلاً - وهم المشبهة ؛ والجبرية - حجة عليه ؛ وليسوا حجة له ؛ فإن أرائك لا نستطيع أن نقول إنهم من العوام ، بل هم في مرتبة الخواص ، لأن منهم من كان ذا فلسفة وذا علم ، لهذا كاه لا نستطيع أن نسلم للبير وفي دعواه لأن ماسافة من الأدلة لا ينتجها ، وليس بطلان الدليل مستلزما بطلان المدلول ، فيجوز أن يكون فيهم موحدون يعتقدون التوحيد كما يعتقد المسلمون ، ولكن ماسافة من دليل لا يصلح أن يكون حجة في هذا المقام ويظهر على أية حال أن موحدتهم (إن كانوا) من الندرة بحيث لا يمنعون تعميم الحكم بالوثنية على البرهمنيين ، لأن الحكم يتبع الغالب الشائع ، ولا يتبع القليل النادر .

(٧) وملشاً الوثنية في الديانة البرهمنية أنهم كانوا يعبدون القوى المؤثرة في الكون وتقلباته في زعمهم ، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى ، بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام ؛ فعبدوا الأصنام لحلولها فيها ، وتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهاً ، ثم عرا عقائدهم التغير والتبديل ، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة أغانيم ، وذلك أنهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة ، وهي (١) براهما وهو الآله الخالق مانح الحياة ، والقوى الذي صدرت عنه جميع الأشياء ، والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء ، ويلسبون إليه الشمس التي بها يكون الدفء وانتعاش الأجسام ، وتجري الحياة في الحيوان والنبات في زعمهم .

(٢) سبفا أو سيوا ، وهو الإله المخرب المفضي الذي تصفر به الأوراق الخضراء ويأق الهرم بعد الشباب ، وتفضى مياه الأنهار في لبح البحار ، ويلسبون إليه النار ، لأنها عنصر مدمر مخرب ، إن تاجح لا يبقى ولا يذر .

(٣) ويشنو أو بشن على حد تعبير البيروني، ويعتقدون أن ويشنو هذا حل في مخلوقات ليحي العالم من الفناء التام، ولقد جاء في كتاب البيروني: إن باسديو يقول في الكتاب المعروف بـ«كيتا»: أما عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية، لأن بشن جعل نفسه أرضاً ليستقر الحيوان عليها، وجعلها ماءً ليغذيهم، وجعلها ناراً وريحاً لينمهم ويلشهم، وجعلها قلباً لكل واحد منهم، ومنح الذكر والعلم وضديهما، وإن كل معاني الخير والسمو من فيض وشنو، وكل الحكماء والصالحين، يقومون بالعدل والصلاح والفضيلة، وينصرون الأختيار على الأشرار بفيض من ويشنو.

وهذه الآلهة الثلاثة أهانيم لإله واحد في زعمهم، والآله الواحد هو الروح الأَعْظَم واسمه بلغتهم (آتما).

ودون هذه الآلهة الثلاثة آلهة أخرى دون هذه الآلهة سلطاناً وقوة وعبادة، وهم من هؤلاء في الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، ولكن براهمتهم وهم علماء الدين يرجعون كل شيء إلى الآلهة الثلاثة، ويرجعون كل شيء إلى إله واحد، ولا يصح أن نفهم من هذا أن البراهمة يعتقدون التوحيد المطلق الذي نفهمه من كلمة التوحيد، وإلا كان العرب موحدين، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله خالق كل شيء، ولكنهم كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون: ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وهذا ليس من التوحيد في شيء، لأن التوحيد الكامل هو التوحيد في العبادة والخلق والاعتقاد، وليس توحيد البراهمة ولا جاهلي العرب شيئاً منه.

(٨) والهنود يعتقدون أن بعض آلهتهم حلت في إنسان اسمه كرشنة، والتقى فيه الآلهة بالإنسان، أو حل اللاهوت في الناسوت في كرشنة، كما يعبر المسيحيون عن المسيح، ويصفونه بأنه البطل الوديع المملوء ألوهية، لأنه قدم شخصه فداء الخليقة عن ذنوبها الأولى، ويقولون إن عمله لا يتدر

ويعتقدون أن الآله وشنو وهو الابن وثاني الاقانيم قد حل فيه ، ومن الغريب أنهم يذكرون حول « كرشنة » من الاساطير والعجائب ما يشبه ما جاء بالانجيل عن المسيح ، فكرشنة ولد من عذراء مخطوبة ، اسمها ديفساكي ، ويصفونه بأنه الآله وأن ولادته أحيطت بعجائب ، فالأرض سبحت ، وظهر نجمه في السماء ، وترنمت الأرواح فرحا وطربا ، ورتل السحاب بأنغام مطرية ، وقد ولدته أمه في غار فأضاء عند ولادته بنور عظيم ، وصار وجه أمه يرسل أشعة نور ومجد ، ويزعمون أنه كان لأمه قبيل ولادته خطيب قد خطبها لتكون زوجها ، كما اعتقد النصارى أن مريم أم المسيح كان لها خطيب اسمه يوسف النجار . والقول الجملي أن الهنود يعتقدون في كرشنة ما يعتقدونه المسيحيون في المسيح ، وقد عقد صاحب كتاب « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » موازنة بين أقوال الهنود في كرشنة ، وأقوال المسيحيين في المسيح ، فتقارب الاعتقادان حتى أوشكا أن يتطابقا . وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة ، فقد علم إذن المشتق والمشتق منه ، والأصل وما تفرع عنه . وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم .

ولنتقل لك بعضا من هذه الموازنة على سبيل المثال، وغيره يقاس عليه.

أقوال النصارى المسيحيين في يسوع
المسيح ابن الله

يسوع المسيح : هو المخلص
والمعزى والمغزى والراعى الصالح
والبسيط وابن الله والأقنوم الثانى من
الثالوث المقدس، وهو الآب والابن
وروح القدس ،

(١) دخل الملاك على مريم العذراء
والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك
أيها المنعم عليها ، الرب معك

(٢) لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمة
فى المشرق وبواسطة ظهور نجمة عرف
الناس محل ولادته

(٣) لما ولد يسوع المسيح رتل
الملائكة فرحا وسرورا وظهر من
السحاب أنغام مطربة

(١) إنجيل لوقا الإصحاح الثالث ص
٢٨، ٢٩ وإنجيل مريم الإصحاح السابع
(٢) إنجيل متى الإصحاح الثاني
العدد ٣

(٣) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني العدد ١٣

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة
ابن الله

كرشنة : هو المخلص والفادى
والمعزى والراعى الصالح والبسيط
وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث
المقدس، وهو الآب والابن وروح
القدس ،

(١) قد مجد الملائكة ديفاكى والدة
كرشنة بن الله، وقالوا يجب للكون أن
يفخر بابن هذه الطاهرة

(٢) عرف الناس ولادة كرشنة
من نجمة الذى ظهر فى السماء

(٣) لما ولد كرشنة سبحت الارض
وأناها القمر بنوره وترنمت
الارواح وهامت ملائكة السماء فرحا
وطربا، ورتل السحاب بأنغام مطربة

(١) كتاب تاريخ الهند المجلد الثانى
ص ٣٢٩

(٢) كتاب تاريخ الهند المجلد الثانى
ص ٣١٧ ، ٣٦٧

(٣) كتاب فشنوبورانا ص ٥٠٢

٤) كان كرشنة من سلالة ملوكانية
ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر

٥) لما ولد كرشنة أضيء الغار
بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاك
يرسل أشعة نور ومجد .

٦) ومن بعدما رضعته صارت تبكي
وتندب سوء عاقبة رسالته فكلما
وعزاها

٧) وعرفت البقرة أن كرشنة
إله وسجدت له

٨) وآمن الناس بكرشنة
واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا
من صدل وطيب

٤) كان يسوع المسيح من سلالة
ملوكانية ويدعونه ملك اليهود،
ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار

٥) لما ولد يسوع المسيح أضيء
الغار بنور عظيم أعياء بلعانه عيني القابلة
وعيني خطيب أمه يوسف النجار

٦) وقال يسوع المسيح لأمه وهو
طفل: يا مريم أنا يسوع بن الله وجات
كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله
أبي إليك وقد آتيت لأخلص العالم
٧) وعرف الرعاة يسوع
وسجدوا له

٨) وآمن الناس بيسوع وقالوا
بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر

٤) دوان ص ٢٧٩

٥) إنجيل ولادة يسوع المسيح
الإصحاح ١٢ والعدد ١٣

٦) إنجيل الطفولية الإصحاح الأول
العدد الثاني والثالث

٧) أنجيل لوقا الإصحاح الثاني من
عدد ٨ - ١٠

٨) إنجيل متى الإصحاح الثالث العدد ٢

٤) كتاب دوان ص ٢٩٧

٥) دوان ص ٢٩٧

٦) تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١١

٧) دوان ص ٢٧٩

٨) كتاب الديانات الشرقية ص ٥٠٠
وكتاب الديانات القديمة المجلد الثاني

ص ٣٥٣

(٩) ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذ الجوس من المشرق قد جاؤا إلى اورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود

(١٠) ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائبا عن البيت وأتى كي يدفع ما عليه من الخراج للملك

(١١) ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية

(٢١) وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طالب إهلاكه

(٩) إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ٢٠١
(١٠) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ١ - ١٧

(١١) انظر تعداد نسبة في إنجيل متى وإنجيل لوقا

(١٢) إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١٣

(٩) وسمع نبي الهنود ناردو، مولد الطفل الإلهي كرشنة فذهب وزاره في «توكول»، وخص النجوم فتبين له من خصها أنه مولود إلهي يعبد.

(١٠) لما ولد كرشنة كان «ناندا»، خطيب أمه ديفا كي غائبا عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك

(١١) ولد كرشنة بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية

(١٢) وسمع ناندا خطيب أمه ديفا كي والدة كرشنة نداء من السماء يقول له: قم وخذ الصبي وأمه فهربما إلى كاكول واقطع نهر جمه لأن الملك طالب إهلاكه

(٩) تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٧
(١٠) كتاب فشنوبورانا الفصل الثاني من الكتاب الخامس

(١١) التنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص ٢٥٩ وتاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٠

(١٢) كتاب فشنوبورانا الفصل الثالث

(٣) وسمع حاكم البلاد بولادة
الطفل يسوع الإلهي وطلب قتله. وكي
يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة
الأولاد الذين ولدوا في الليلة التي
ولد فيها يسوع المسيح .

(١٤) واسم المدينة التي هاجر إليها
يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية
المطرية ، ويقال إنه عمل فيها آيات
وقوات عديدة .

(١٥) وكانت ولادة يوحنا
المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح
بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس
في إهلاك الطفل يسوع المسيح وكان
يوحنا مبعثراً بولادة يسوع المسيح

(١٣) وسمع حاكم البلاد بولادة
كرشنة الطفل الإلهي وطلب قتل
الوالد، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر
بقتل كافة الأولاد الذكور الذين
ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنة.

(١٤) واسم المدينة التي ولد فيها
كرشنة مطرا، وفيها عمل الآيات
العجيبة ولم تزل محل التعظيم
والاحترام عند المنود العابدين
للأوثان القائلين عن كرشنة إنه ابن
الله وإنه الله إلى يومنا هذا .

(١٥) كانت ولادة القديس راما
قبل ظهور كرشنة في الناسوت بزمن
قليل وقد سعى فانسا ملك البلاد في
إهلاك القديس راما وإهلاك
كرشنة أيضاً .

(١٣) إنجيل متى الإصحاح الثاني

(١٤) المقدمة على إنجيل الطفولية

تأليف هيجين

(١٥) إنجيل تاريخ ولادة يسوع

المسيح الإصحاح السادس

(١٣) دوان ص ٢٨٠

(١٤) تاريخ الهند المجلد الثاني

ص ١٧ م والتنقيبات الآسيوية

المجلد الأول ص ٢٥٩

(١٥) تاريخ الهند المجلد الثاني

ص ٣١٦

(١٦) وربى كرشنة بين الرعاة ولما
جىء به إلى مطرا كان فى احتياج
عظيم إلى التعليم فأتى له بمعلم خبير
وفى وقت قليل فاق على أستاذه فى
العلوم وأعياه فى المسائل العلمية
السسكربتية الدقيقة .

(١٦) وأرسل يسوع المسيح إلى
عند المعلم زاخوس كى يعلمه فكتب
له أحرف ألف، باء، وقال ليسوع قل -
الف- فقال الرب يسوع أخبرنى أولاً
عن معنى حرف الألف ومن بعده
أقول حرف الباء فتهدد المعلم يسوع
بالضرب فقام يسوع وفسر معنى
الألف والباء وأخبره عن الحروف
المستقيمة والحروف المنحنية
الحروف المثناة والتي لها نقط
وحركات والتي ليس لها نقط ولماذا
وضعت فى هذا الترتيب أى بعض
الحروف قبل غيرها وطفق يخبر عن
أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم
يقرأها فى كتاب

(١٧) وفى أحد الأيام كان كرشنة
سائراً مع قطيع من البقر فاختروه
ملكاً عليهم وذهبت كل بقرة إلى
المكان الذى عينه لها هذا الملك

(١٧) وفى شهر أزار جمع يسوع
الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم وإذا
مر بهم . أحد كانوا يأخذونه غصاً
ويأمرونه بالسجود للملك

(١٦) إنجيل الطفولة الإصحاح
العشرين عدد ١ إلى ٨
(١٧) إنجيل الطفولة الإصحاح
١٨ من عدد ١ - ٣

(١٦) دوان ص ٢٨٠ وتاريخ الهند
المجلد الثانى ص ٣٢١
(١٧) تاريخ الهند المجلد الثانى
ص ٣١٢

(١٨) وبينما كان يسوع يلعب
اسعت الحية أحد الصبيان المذنبين كان
يلعب معهم فلما رأى يسوع ذلك الصبي
بيده فماد إلى حال صحته .

(١٩) وأخفى الأولاد الذين كانوا
يلعبون مع يسوع أنفسهم في فرن
فبدلوا إلى هيئة جداء فناداهم يسوع
تعالوا إلى هنا يا أيها الأولاد لتلعب
فأعيدت تلك الجداه هيئةهم الأولى صيانا

(٢٠) وأول الآيات والعجائب التي
عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص
(٢١) وفيما كان يسوع في بيت عتيا
في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه

(١٨) وفي أحد الأيام لسعت الحية
بعض أصحاب كرشناة الذين يلعب
معهم فساتوا فأشفق عليهم لموتهم
الباكر ونظر إليهم بعين الوهيته فقاموا
سريعا من الموت وعادوا أحياء

(١٩) وسرق بعض أصحاب كرشناة
مع عجلوهم وأخفاهم السازقون في
غار فخلق كرشناة أصحابا وعجولا
مثلهم في الشكل والهيئة .

(٢٠) وأول الآيات والعجائب
التي عملها كرشناة شفاء الأبرص

(٢١) وأوتى كرشناة بامرأة فقيرة
مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت

١٨) إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨

١٩) إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨

٢٠) إنجيل متى الإصحاح الثامن

العدد الثاني

٢١) إنجيل متى الإصحاح السادس

والعشرين عدد ٦، ٧

١٨) تاريخ الهند المجلد الثاني

ص ٢٤٣

١٩) تاريخ الهند المجلد الثاني

ص ١٤ وكتاب خرافات الآريين

المجلد الثاني ص ١٣٦

٢٠) تاريخ الهند المجلد الثاني

ص ٣١٩

٢١) تاريخ الهند المجلد الثاني ص

امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن
فسكبت على رأسه وهو متكئ.

(٢٢) يسوع صلب ومات على
الصليب.

(٢٣) لما مات يسوع حدثت
مصائب جمّة متنوعة وانشق حجاب
الهيكل من فوق إلى تحت ، وأظلمت
الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة
التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون
من القديسين وخرجوا من قبورهم.

(٢٤) وثقب جنب يسوع بحربة
(٢٥) وقال يسوع لأحد اللصين

(٢٣) إنجيل متى الإصحاح الثاني
والعشرين وإنجيل لوقا أيضاً
(٢٤) دوان ص ٢٨٢
(٢٥) إنجيل لوقا الإصحاح الثالث
والعشرين عدد ٤٠، ٤٣

وصندل وزعفران وغير ذلك من
أنواع الطيب فدهنت منه جبين
كرشنة بعلامة مخصوصة وسكبت
الباقى على رأسه

(٢٢) كرشنة صلب ومات على
الصليب

(٢٣) لما مات كرشنة حدثت
مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط
بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس
في وسط النهار وأمطرت السماء
ناراً ورماداً وتأججت أشعة نار
حامية وصار الشياطين يفسدون
في الأرض وشاهد الناس ألوفا من
الأرواح في جو السماء يتراوحن
صباحاً ومساءً وكان ظهورها في كل
مكان .

(٢٤) وثقب جنب كرشنة بحربة
(٢٥) وقال كرشنة للصيد الذي

(٢٣) كتاب ترقى التصورات
الدينية المجلد الأول ص ١٧
(٢٤) دوان ص ٢٨٣
(٢٥) فشنوبرانا ص ٢١٣

اللذين صلبا معه الحق أقول لك أنك
اليوم تكون معي في الفردوس

٢٦- ومات يسوع ثم قام من
بين الأموات .

٢٧- ونزل يسوع إلى الجحيم

٣٨- وصعد يسوع إلى السماء
وكثيرون شاهدوه صاعدا

٢٩- ولسوف يأتي يسوع في
اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح
وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه
تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض
وتهتز وتتناقض النجوم من السماء

٣٠- ويدين يسوع الأموات
في اليوم الأخير

٢٦- إنجيل متى الإصحاح ٢٨

٢٧- دوان ص ٢٨٢ وكذلك
كتاب الإيمان المسيحي

٢٨- إنجيل متى الإصحاح الرابع والعشرين

٢٩- إنجيل متى الإصحاح ٢٤

٣٠- إنجيل متى الإصحاح ٢٤ العدد

٣، ١ رسالة الرومانيين

رماه بالنيلة وهو مضلوب اذهب
أيها الصياد مخفوقا برحمتي إلى السماء
مسكن الآلهة

٢٦- ومات كرسنة ثم قام من
بين الأموات

٢٧- ونزل كرسنة إلى الجحيم

٢٨- وصعد كرسنة بجسده إلى
السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا

٢٩- ولسوف يأتي كرسنة في
اليوم الأخير ويكون ظهوره
كفارس مدجج بالسلاح وراكب
على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم
الشمس والقمر وتزلزل الأرض
وتهتز وتتناقض النجوم من السماء

٣٠- وهو أي كرسنة يدين
الأموات في اليوم الأخير

٢٦- دوان ص ٢٨٢

٢٧- دوان ص ٢٨٢

٢٨- دوان ص ٢٨٢

٢٩- دوان ص ٢٨٢

٣٠- دوان ص ٢٨٣

(٣١) ويقولون عن كرشنة الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدى

(٣٢) كرشنة الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء.

(٣٣) لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكشفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كإحياء الميت وشفاء الأبرص والأعمى وإعادة المخلوع كما كان أولا، ونصرة الضعيف على القوى، والمظلوم على ظالمه وكانوا إذ ذاك يعبدونه، ويزدحمون عليه ويعبدونه إلها

(٣١) ويقولون عن يسوع المسيح؛ إنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدى (٣٢) يسوع الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء.

(٣٣) لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكشفه وكان يبشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات، كإحياء الميت وشفاء الأبرص والأعمى والمريض، وينصر الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعبدونه إلها

(٣١) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ٣٠١ ورسالة كورنثوس الأولى افسس الإصحاح الثالث العدد ٩

٣٢ . سفر الرؤية الإصحاح الأول العدد ٨

٣٣ . انظر الإنجيل والرسائل ترى كثيرا من هذا الذي ذكرناه

(٣١) دوان ص ٢٨٢

(٣٢) دوان ص ٢٨٢

(٣٤) كان كرشنة بحب تلميذه
ارجونا أكثر من بقية التلاميذ.
(٣٥) وفي حضور ارجونا بدلت
هيئة كرشنتوا أعضاء وجهه كالشمس
ومجد العلي اجتمع في إله الآلهة فاحنى
أرجونا رأسه تدللاً ومهابة وتكثف
تواضعاً وقال باحترام: الآن رأيت
حقيقتك كما أنت وأنى أرجو رحمتك
يارب الأرباب فعدوا ظهر في ناسوتك
ثانية أنت المحيط بالملكوت

(٣٦) وكان كرشنة خير الناس
خلقاً وخلقاً وعلماً باخلاص وأنصح
وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية
وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل
أرجل البرهيمين وهو الكاهن
العظيم برهما وهو العزيز القادر
ظهر لنا بالناسوت

(٣٤) كان يسوع بحب تلميذه
يوحنا أكثر من بقية التلاميذ
(٣٥) وبعد ستة أيام أخذ يسوع
بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد
٣٣ إلى جبل عال منفردين وتغيرت
هيئته تدهامهم وأضاء وجهه كالشمس
وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما
هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم
وصوت من السحابة قائل هذا هو
ابن الحبيب الذى سررت له اسمعوا
ولما سمع التلاميذ سقطوا على
وجوههم وخافوا جدا

(٣٦) كان يسوع خير الناس
خلقاً وعلماً باخلاص وهو الطاهر
العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد
تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل
التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر
ظهر لنا بالناسوت

(٣٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ العدد ٢٣

(٣٥) إنجيل متى الإصحاح ١٧ من
عدد ١ إلى ٩

(٣٦) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣

(٣٤) كتاب بها كافات كيتا

٣٥ ، كتاب مورس وليمس
المدعو دين الهنود ، ص ٢١٥

(٣٦) المرجع السابق ص ١٤٤

٣٧- يسوع هو يهوه العظيم
القدوس وظهوره في الناسوت سر من
أسراره العظيمة الإلهية

٣٨- يسوع الألقوم الثاني من
الثالوث المقدس عند النصارى

٣٩) وأمر يسوع كل من يطلب
الإيمان بإخلاص أن يفعل كما يأتي
وأما أنت فتى صلبت فادخل إلى
مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أريك
الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في
الخفاء يجازيك علانية

٤٠- فاذا كنتم تأكلون أو
تشربون أو تفتعلون شيئاً فافعلوا كل

٣٧) رسالة تيموثاوس الأولى
الإصحاح الثالث

٣٨) انظر كافة كتبهم الديرية
وكذلك الأناجيل والرسائل

٣٩) إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ٦

٤٠) رسالة كورنتسوس الأولى

الإصحاح العاشر من عدد ١: ٣

٣٧- كرسنة هو برهما العظيم
القدوس وظهوره بالناسوت سر
من أسراره العجيبة الإلهية

٣٨- كرسنة الألقوم الثاني من
الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين
القائلين بألوهيته

٣٩- وأمر كرسنة كل من
يطلب الإيمان بإخلاص أن يترك
أملاكه وكافة ما يشتهيه ويحبه من
مجد هذا العالم ويذهب إلى مكان خال
من الناس ويجعل تصوره في الله
فقط

٤٠- وقال كرسنة لتلميذه
الحبيب أرجونا إنه مهما عملت

٣٧) فشنو بورانا ص ٤٩٢ عند
شرح حاشية عدد ٣

٣٨) كتاب مورس. ولیمس
المدعو العقائد

٣٩) ديانة الهنود الوثنية ص ٢١١

٤٠) مورس ولیمس ديانة

الهنود الوثنيين ص ٢١١

ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت
ومهما قربت من قربان مهما فعلت
من الأفعال المقدسة فليكن جميعه
ياخلاص لي أنا الحكيم والعليم ليس
لي ابتداء وأنا الحاكم المسيطر
والحافظ

(٤١) من يسوع وفي يسوع
وليسوع كل شيء وكل شيء به كان
وبغيره لم يكن شيء عما كان

(٤٢) ثم كلمهم يسوع قائلا أنا
هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في
الظلمة

(٤٣) قال له يسوع أنا هو الطريق
والحق والحياة ليس أحد ياتي الآب إلا بي

(٤١) إنجيل يوحنا الإصحاح
الأول من عدد ٣١

(٤٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ٨
العدد ١٢

(٤٣) إنجيل يوحنا الإصحاح
الرابع عشر عدد ٦

(٤١) قال كرشنا أناعلة وجود
الكائنات في كانت وفي تحمل وعلى
جميع ما في الكون يتكل وفي يتعلق
كاللوازم المنظوم في خيط

(٤٢) وقال كرشنا أنا النور
الكائن في الشمس والقمر وأنا
النور الكائن في اللهب وأنا نور
كل ما يضيء ونور الأنوار ليس
في ظلمة

(٤٣) قال كرشنا أنا الحافظ
للعالم وربّه وملجزه وطريقه

(٤١) مورس وليس ديانة
الهنود الوثنيين ص ٢١٢

(٤٢) كتاب موريس وليس
ديانة الهنود ص ٢١٣

(٤٣) دوان صفحة ٢٨٣

٤٤) وقال يسوع، أنا هو الأول
والآخر ولي مفاتيح الهاوية والموت

٤٥) وقال يسوع للمفلوج ثق
يا بني مغفورة لك خطاياك يا بني
أعطني قلبك والمدينة لا تحتاج إلى
شمس ولا إلى قمر ليضئنا فيها
الحرزوف سراجها

٤٤) رؤيا يوحنا الإصحاح
الأول من عدد ١٧ - ١٨

٤٥) إنجيل متى الإصحاح ٩
عدد ٢ وسفر الأمثال الإصحاح ٢٣
عدد ٢٦ وسفر الرؤيا الإصحاح ١٢
عدد ٢٣

٤٤) وقال كرشنة، أنا صلاح
الصلاح وأنا الابتداء والوسط
والاخير والأبدى وخالق كل شيء
وأنا فناؤه ومهلكه

٤٥) وقال كرشنة لتلميذه
الجبب لا تخزن يا أرجونا من كثرة
ذنوبك أنا أخلصك منها فقط ثق
بي وتوكل على واعبدني واسجد لي
ولا تتصور أحدا سواي لأنك
هكذا تأتي إلى المسكن العظيم
الذي لا حاجة فيه لضوء الشمس
والقمر اللذين نورهما مني

٤٤) كتاب موريس وليمس
ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣

٤٥) كتاب موريس وليمس
ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣

النفس في نظر البراهمة جوهر خالص ، عالم مدرك تام العلم والإدراك مادام منفصلا عن الجسد ، فإذا فاض على الجسد واتصل به احتكر صفاته ، ونقص علمه ، ولذا يقول باسديو كما تنقل البيروني : إذا تجردت النفس عن المادة كانت عالمة ، فإذا تلبست بها كانت بكدرتها جاهلة وظنت ، أنها الفاعلة ، وأن أعمال الدنيا معدة لأجلها ، فتمسكت بها ، وانطبعت المحسوسات فيها فإذا فارقت البدن كانت آثار المحسوسات فيها باقية ، فلم تنفصل عنها بالتمام ، وحنّت إليها وعادت نحوها .

وهذه النظرية التي تقرر أن النفس عالمة قبل اتصالها بالجسم تقارب نظرية أفلاطون في المثل العليا في النفس ، وربما كانت أصلا لها ، فالعلم لا يقع في قبضة أحد ، بل هو ينتقل في البلاد والأمم تنقل الرياح والأمطر فيها ، لا تقف دونه الحاجزات ، ولا تسد الطريق عليه سدود من حدود وحصون .

١٠ - والنفس عندهم خالدة باقية لا يعرفونها الفناء . ولا يتطرق إليها البلى ، ولقد صرحت بذلك كتبهم ، وهذا ما نقله البيروني يشهد بما نقول : قال باسديو لأرجن يجره على القتال ، ومما بين الصفين : إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ، ولا نحن بموتى ولا ذاهبين ذهابا لارجوع معه ، فإن الأرواح غير مائة ولا متغيرة ، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ، ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ، ثم العود له . وقال له أيضا : كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ، ولا لك تلف وعدم ، بل هي ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء ينقصها ، ولا ريح

ثوبسها ، لكنها تنتقل من بدننا نحو آخر كما يستبدل البدن اللباس إذا
تلقى ، فما عملك لنفس لا يرد .

١١ - ومن هذا النص يفهم أن عقيدتهم في النفس أنها لا تبيد ، وأنها
تنتقل من جسم إلى جسم ومن ذلك جاء اعتقادهم في تناسخ الأرواح ، وهو
الطابع الذي امتازت به الديانة البرهمنية ، حتى لقد قال في ذلك البيروني :
« كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة
النصرانية ، والإسبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية
من لم ينتحلها لم يك منها ،

وقد قامت عقيدة التناسخ عندهم على دعائم ثلاث :

(الدعامة الأولى) اعتقادهم خلود الأرواح .

(الدعامة الثانية) اعتقادهم أن الروح بعد مزاولة الجسم تكون
في حنان دافع إلى الأجسام ، لما انطبع فيها من المحسوسات ، وأثر
فيها من الماديات ، وإن كان ذلك التأثير قد عكس صفاتها ، وكرر نقاتها .

(الدعامة الثالثة) أن النفس في بقائها في الجسم تحيط علماً
بالجزئيات وإن كان علمها بالصورة الكلية ثابتاً لها ، وهي في نقلها
من جسم إلى جسم تستفيد من كل جسم علماً جديداً بجزئيات لم تكن
تعلمها ، فليس من المعقول أن تحيط بكل الجزئيات علماً يبقاها أمداً قصيراً
في جسم واحد ، ولذلك « احتاجت إلى تسبع الجزئيات واستقراء
الممكنات ، وهي وإن كانت متناهية عددها كثير والإتيان على الكثرة
وإحصاؤها علماً يحتاج إلى فسحة في الأمد ، ولذلك لا يحصل ذلك العلم
لنفس إلا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والأحوال ،
حتى يحصل لها في كل واحد تجربة ، وتستفيد بها جديداً في المعرفة ، (١)

لهذا كله كانت الأرواح تنتقل في الأجسام ، وتنتقل متدرجة في

(١) ما الهند من مهولة البيروني .

الرقى من جسم إلى جسم حتى تصل إلى السكالك المطلق ، وتكون فى صف
الروحانيات المتجرده : وهى الملائكة وتكون غير محبوبة عن التصرف
فى السموات والأرض ، وتدير الكون .

وإذا كانت الروح قد ارتكبت خطايا فى أثناء حلولها فى أحد
الأجسام أركست فى حيوان ذرى الذى كانت فيه لتكفر عن خطيئتها ، وتظهر
من سيناتها ، ثم تسير قدما إلى الرقى ، لا يعوقها عن بلوغ أوجه إلا خطايا
تسائم بها ، ثم تتطهر . وتستمر كذلك حتى تصل إلى الماسكوت الأعلى
مع الملائكة فى أعلى عابن ، وتتجرد من الغلاف الجسمى ، وقد يكون
تدرجها إلى أدنى ، فتتهوى إلى جهنم على حسب الأقوال عندهم .

ولعقيدة التناسخ ، التى استولت على الفكر الهندى وأثرت فيه - كانوا
يعتقدون أن الروح الواحدة تعمل فى عدة من الأجسام ، وأن الشخص قد
تكرن روحه قد حلت فى مئات الأجسام قبله ، يحكى البيرونى عن ملك من
ملوكهم ، أنه رسم لقومه أن يحرقوا جثته بعد موته فى موضع لم يحرق فيه
ميت قط ، وأنهم طلبوا موضعا كذلك ، فأعياهم ، حتى وجدوا صخرة من
البحر نابتة ، فظنوا أنهم ظفروا بالبغية ، فقال لهم باسديو : إن هذا الملك
أحرق على هذه الصخرة مرات كثيرة فافعلوا ما تريدون ، فأما قصد
إعلامكم وقد قضيت حاجته ..

١٢ - نظام الطبقات فى الديانة الهندية :

الناس فى نظر الديانة البرهمنية ليسوا سواء ، لامن حيث العبادة أو
الزهادة أو طلب الزلى ، بل هم مختلفون من حيث الطبقات والأعمال وما
يمتهنون من مهن ، فقد قسم الناس فيها من حيث مهنتهم وأصولهم وأنسابهم إلى
أربع طبقات :

الطبقة الأولى ، وهى أسماها طبقة البراهمة ، وهم رجال الدين

الدين يبنون أحكامه، ويذكرون فضائياه، ويزعمون أنهم خلقوا من رأس الإله براهما؛ ولذلك كانوا أعلى الناس وخلاصة المجلس البشري، وعقله المفكر ورأسه المدبر، وذلك لأن الرأس في الجسم عنوان ذلك كله، فهو علاوة الجسم، وموضع التدبير فيه .

(والطبقة الثانية) طبقة الجند ويسميهم البيروني كشتري، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب براهما ويديه، وهم لهذا الحماة والغزاة والقوة، ومررتهم دون مرتبة البراهمة وهي المرتبة التي تليها .

(والطبقة الثالثة) طبقة الزراع والتجار، وهم مخلوقون من ركنتي الإله براهما في زعمهم، وتسمى (بيش) والمسافة بينهم وبين الطبقة التي تسبقهم كبيرة جدا، وقريبة من الطبقة التي تليهم .

(الطبقة الرابعة) وهي طبقة الخدم والأسارى؛ وهؤلاء خاقوا فيها يزعمون من قدمى الإله براهما، وتسمى (شودر) .

١٣ - ولكل طبقة من هذه الطبقات آداب خاصة تتحل بها، فيجب على البرهمي أن يكون وافر العقل، ساكن القلب، صادق اللهجة، ظاهر الاحتمال ضابطا للحواس، مؤثرا للعدل، بادي النظافة، مقبلا على العبادة، مصروف الهمة إلى الديانة .

ويجب أن يكون (الجندي كشتري) مهيبا شجاعا معظما ذوق اللسان سمح اليد؛ غير مبال بالشدائد، خريصا على تيسير الخطوب .

ويجب أن يكون الزراع والتجار مشغولين بالزراعة ويراعوا العناية بالسوائم والقيام بشئون التجارة، وما تقتضيه من معرفة بشئون الاسواق وما تقتضيه من صفق في البياعات وتمرس بشئونها وتتبع لها .

ويجب أن يكون الخدم والأسارى مجتهدين في الخدمة والتماق إلى الناس والتعجب إليهم، لأن ذلك أليق الآداب بهم وهو الذي يتفق مع عملهم .

ويقول البيروني بعد بيان الآداب الواجبة لكل طبقة: « وكل من هؤلاء إذا ثبت على رسمه وعادته نال الخير في إرادته إذا كان غير مقصر

في عبادة الله، غير ناس ذكره في جل أعماله، وإذا انتقل عما عهد إليه إلى ما عهد إلى طبقة أخرى، وإن شرفت عليه كان آثما بالتعدى في الأمر

١٤-) وعلى ذلك تكون كل طبقة ليس لها أن تعدو حالها إلى حال طبقة أخرى، فالزراع لا يصح أن يكونوا من التجار، والجند لا يرتقون إلى درجة الكهنة، وهكذا. وكل طبقة تنتقل حالها إلى الأعقاب والأخلاف، فالطبقة تورث من الشخص إلى غيره من عقبه.

ويظهر أن التقسيم الأول عند الفتح كان ملاحظا فيه الجنسية، فهو تقسيم جنس أكثر منه تقسيم للعمل، ولذلك يقول البيروني: إنهم يسمون طبقاتهم «برن» ومعناها الألوان، ويسمونهم أيضا (جانك) ومعناها المواليد، فالأصل إذن في الطبقات تقسيم جنسي، وتنقل إلى الأعقاب بالولادة، والأنسب.

وهناك دون هذه الطبقات الأربع طبقات المحرومين، وأبناء الزنى، والذين يتناولون الأعمال القذرة في المدن، والأعمال الحقيرة، ويسدون من ليسوا من الهند «امليج»، ومعناها أنجاس.

والمحرومون وأبناء الزنى والانجاس في طبقة دون الطبقات الأربع جميعا، ولا يتسارمون أبدا إلى واحدة منها، ويعتبرون هم والطبقة الرابعة منبوذين.

١٥-) هذا. وكل طبقة ليس لها أن تتناول من أبواب العبادة ما يتناوله الآخر، فلببرهمي عبادته الخاصة به وطرقه.

بل إن البرهمي له باعتبار السن أحوال أربع، ولكل سن حال خاصة بها، فالدرجة الأولى درجة التلمذة التي يتلقى فيها علوم البراهمة ويأخذها أستاذه ببعض آدابهم، لدرجة الثانية أن يكون رب أسرة، ويتعدى من الخامسة والعشرين، وفيها يعني بتكوين بيت له، ويختار له زوجا من طبقته، والدرجة الثالثة درجة النسك والعبادة

يهم فيها في الغصابات والأحراش، وينال فيها من ثمر الأشجار وبعض الأعشاب، ومتى جاز هذه الدرجة بنجاح تام وبلغ سنها المعينة انتقل إلى أسنى الدرجات، وهي درجة الفقير، فيخرج من حكم الجسد، وتحكم فيه الروح فقط ويقرب من الآلهة.

١٦- وهنا يثار نظر الناس في المنزلة الدينية أمي كذلك؟ أم تلك المنازل دنيوية أقرها الدين لتنظيم المجتمع في الدنيا، وهم أمام الدين في الخلاص سواء؟ مما لاشك فيه أن تلك المنازل لها أثرها الديني في المعاملة في الدنيا، فالبرهمي له أن يقرأ كتبهم المقدسة، ويتعلمها ويعلمها للناس، والمحاريبون لهم فقط أن يقرأوها ويتعلموها، وليس لهم أن يعلموها، فذلك ليس من عملهم في شيء، لأنهم خصصوا للجهاد والدفاع، والزراع والتجار والخدم ليس لهم أن يقرأوا كتبهم ولا أن يتعلموها، بل إن ثبت أنهم فعلوا شيئاً من ذلك رفعت البراهمة الأمر إلى الوالي فقطع لسان من فعل:

وأما كل أعمال البر غير ما ذكرنا، وغير تقديم قرابين النار، فهو غير ممنوع عن طبقة من الطبقات.

وقد اختلفت عباراتهم في الخلاص الذي هو أعلى الدرجات ثواباً: أهو يخاص بالبراهمة والفقراء أم يعم الجميع؟ فبعضهم يمنع من الخلاص الطبقتين السفليتين، ولكن الأكثرين على أن الخلاص ثواب الجميع، ولقد قال باسديو في طالب الخلاص: «إن العقل قد سوى عنده البرهمي وجندال (١) والصديق والعدو، والأمين والخائن، بل الحية وابن عرس، فإن كان العقل هو الذي سوى فالجهل هو الذي فصل وفضل».

(١) طبقة من أدنى طبقات الطبقة الرابعة.

١٧ - الحياة الآخرة : من عادات الهنود الديلية أن أجسام أكابرهم تحرق بعد الموت ، وذلك لأن النار في اشتعالها تعلقو شعلتها إلى أعلى مخط عمودي على أفق الأرض ، والعمود أقرب المستقيمت بين السطوح والخطوط ، ولذا تتجه الروح بهذا الاحتراق إلى أعلى ، سائرة باتجاه عمودي. فصعد إلى السماء في الملكوت الأعلى في أقرب زمر . هذا سبب مرأساب حرق أجسام كبرائهم بعد موتهم . وهناك سبب آخر . هو أن في الاحتراق تخليها للروح من غلاف الجسم تخليصا تاما ، وذلك أن في الجسم نقطة بها يكون الإنسان ، وهي متأشبة بالجسم متصلة به ، فلا تخلص منه إلا باحتراق أمشاجه وصيرورتها ذرات صغيرة بالاحتراق ، فعندئذ تخلص تلك النقطة وهي معنى الإنسان ، وتخلصها تخلص الروح من الجسم ، وتعلق عنه لتصل بجسم آخر أو لتسمو إلى درجة الملائكة ، إن كانت قد وصلت إلى درجة الخلاص .

١٨ - وإذا تخلصت الروح من الجسم كان أمامها ثلاثة عوالم: أولها العالم الأعلى ، وهو عالم الملائكة ، تصعد إليه الروح إن كانت بعملها تستأهل الصعود إليه ، والخلاص من الجسم ، والسمو إلى الملكوت الأعلى ، والعالم الثاني عالم الناس ، وهو عالمنا الحاضر معشر الآدميين ، والنفس تعود إليه بالحلول في جسم إنسانى آخر لتكتسب عمل خير ، ولتجنب عمل شر ، إذا كانت أعمالها في الجسم الأول لا ترفعها إلى مراتب التقديس في أعلى عليين ، ولا تنزل بها إلى أسفل سافلين في العالم الثالث وهو عالم جهنم ، وهذا العالم يكون لمرتكبي الخطايا الواقعين في الذنوب . وليس هناك جهنم واحدة ، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم ، فالمدعون على غيرهم حقوقا كاذبة وشهود الزور لهم جهنم خاصة بهم ، وسافك الدم وغاصب حقوق الناس والمغير عليهم وقاتل البقر لهم جهنم خاصة بهم ، وقاتل البرهمن وسارق الذهب ومن سحب الأمراء الذين لا ينظرون إلى رعاياهم لهم جهنم خاصة ، والذي يرد قول أستاذه ولا يرضاه ، ويستخف بالناس ويسبهم

بالكتب المقدسة أو يكتب بها في الأسواق لهم جهنم أيضاً خاصة . وهكذا لكل صنف من الآئمين جهنم بمقدار يتناسب مع ذنبهم ، ومقدار ما فيهم من فسوق عن الدين وخروج من حظيرته .

ثم هل جهنم دائمة وكذلك الجنة ؟ منهم من يرى أن الجنة نزلها دائم ، وأن الجحيم كذلك ، وأنها للجنة أبداً أو الجحيم أبداً ، على مقدار ما قدم الشخص من عمل ، فإن كان العمل في الحياة لا يرفع إلى الجنة ولا ينزل إلى الجحيم أعيدت الروح إلى جسم آخر ، لتعمل ما يعليها أو يردبها . ومنهم من يرى أن طريق الاكتساب الإنسانية وحدها ، وأن التردد فيها مكافأة قاصرة عن درجة الثواب والعقاب لأخروي ، أما الجنة فإنها في علوها تكون للنعيم الذي يستحقه من قدم عملاً حسناً ، ويكون البقاء فيها إلى أمد محدود ، وإذا كان العمل الإنساني إنما وخطيئة تردت روح الشخص في الحيوان والنبات وعقابا لها على ما اجتاحت من سيئاً وقدمت من خطايا ، وبقيت في ذلك أبداً حتى تتطهر بما اجتاحت ، وليست جهنم إلا هذا التردى عند هزلاء فالجنة والجحيم ليستا ابديتين عندهؤلاء ، بل هما مؤقتتان بهذا التأقيت بعدها تصعد الروح درجة إلى العالم العلوى أو تنزل إلى المرتبة الإنسانية .

وكلا الرأيين يسير على مناهج تناسخ الأرواح ، وإن اختلفت أنظارهم فيه ، ومهما يكن من خلاف في هذا المقام فالمتفق عليه أن البعث في العالم الأخرى إنما هو للأرواح لا للأجساد . فالروح إما في روح أو ريحان ، وإما في شقوه وجحيم على نحو ما بينا .

١٩ - كتبهم : أقدم كتبهم الفيديا ، ولم يعرف المؤرخون عصر كتابتها على وجه التحقيق والضبط ، وأنهى ما تأكد لديهم أن الفيديا كانت موجودة قبل خمسة عشر قرناً . فقد كانت مع الفاهمين الآريين على أنها من

أصول ديانتهم والفيديا مجموعة من الأشعار ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم ، ويقول جماهيرهم إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بأمثالها . ويقول البيروني: إن خاصتهم يقولون إن في مقدورهم أن يأتوا بمثلها ، ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراماً لها ، ولم يبين لنا البيروني وجه المنع ، أهو منع بمعنى التحريم ، بمعنى أن في استطاعتهم أن يتجهوا إلى الإتيان بمثلها وأن يأتوا بالفعل ، ولكنهم كلفوا ألا يأتوا فهم ممتنعون إجابة لهذا التكليف ؟ أم أن هذا المنع إنما هو صرف لهم عن أن يأتوا بمثلها فهم في قدرهم أن يأتوا ولكنهم صرفوا عن ذلك . كما يقول بعض الجهلاء في إعجاز القرآن الكريم؟ فان من الناس من يزعم جهلاً بالقرآن أو إلحاداً فيه أن العرب كان في استطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد صرفهم عن ذلك صرفاً ، فإعجازه ليس لما فيه ولكن لأن الله سبحانه أعجز القدر عن الإتيان بمثله . (١) لم يبين لنا البيروني أي الوجهين أراد بالمنع ، لئن أراد الأول لا يمنع ألا يوجد ما يماثلها ، لأنه عسى أن يكون ممن يعصون التكليف من يأتي بأمثالها بل يضيف إليها ؛ لأن الناس ليسوا معصومين من المخالفة . وما أظن أحداً من البراهمة يعتقد جواز وجود أمثالها ، لذلك نرجح أن يكون المراد هو الثاني لا الأول .

والفيديا أربع مجموعات لكل واحدة منها نهج خاص في القراءة وتلحين خاص في الإلقاء ، ومواضع لا يتلى فيها غيرها ، ولا يرتل فيها سوى نوع خاص من بينها . وأرلها نوع يقال له « الرجفيدا » ، وعلى حد تعبير البيروني « الركيد » ، وله ثلاثة مناهج للتلاوة ، ويرتل عند تقديم قرايين النار . وثانيتها

(١) وقد أشبع عبد القاهر والبالاني وغيرهم من كبار علماء القرون العاربة أصحاب تلك النحلة الباطلة قوماً وردوا مما لا يترك مقالاً لقاتل

ويقال له « الباجورفيدا » ويسميه البيروني « جزر يند » والفرق بينه وبين الأول في النغم والتلحين ، وإن كان مثله يقال عند تقديم الفرائين . وثالثها « السامافيدا » ويسميه البيروني « سام يند » وله نغم أيضاً خاص به ويرتل عند صنع الشراب المقدس وتناوله . ورابعها « الأثارفيد » ويسميه البيروني « أثر يند » ويتلى عند السحر والتعاويذ وله لحن خاص به .

ويكون لكل مجموعة من هذه الأشعار أسطورة كانت سبباً لتزييله كما يزعمون ، وترتيل هذه القصائد لا يصح من غير البراهنة والغزاة على ماسبق

٤٠ - ولهم كتب غير هذه تسمى البرهميات ويسمها البيروني « البيرانات » وهي كتب من منشور القول لا من منظومه كالفيدا وهي أقسام كثيرة ، وموضوعاتها مختلفة . فمنها ما فيه أحكام شريعتهم وفقه ملتهم من حث على الخلاص ، وترغيب في فداء الروح بالجسم وغير ذلك . ومنها ما هو خاص بالمطالعات التي يطالعها النساك الذين ينسأبون في الأحراش ويرغبون في التخلص بالفعل من المادة ، لينعموا بجمرية الروح ، فيطالعون تلك الكتب لتقوى عزائمهم ويستحفظونها ليعطوا العلم الباطني بالروح الأكبر . وترتبط نفوسهم بالموجود الأعظم . ومنها كتب في أصول عقائدهم قد ذكرت فيها نشأة العالم وكيف نشأ ثم كيف ظهرت آلهتهم التي يزعمونها ، وكيف وجدت المخلوقات وكيف وجد الإنسان وكيف كانت خواصه ، وكيف تكون المعرفة وغير ذلك من المعلومات التي تتصل بآلهتهم وبالإنسان ونفسه وعلاقته بالآلهة والكون .

هذه الإمامة موجزة نرجو أن تكون موضحة للديانة البراهمية ، ونظمها وكتبها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الدين عند الله الإسلام .

البوذية

١ - نشأت الديانة البوذية بالهند كما حلت البرهمية فيها ، وقد كان منشأها برهميا ، وهي في الواقع تخفيف لما جاء في البرهمية من تعاليم وإزالة لما أحدثته البرهمية من تفریق بين الناس يتوارث بينهم خلفا عن سلف ، فلا يحوه كره الغداة ومر العشى ، بل ينتقل بالوراثة كما ينقل الدم ، ويولدمع الشخص ويلازمه وهو في المهد .

وملشئ تلك الديانة هو « بوذا » واسمه سدائنا واسم أسرته جوتاما وأحيانا يطلق عليه اسم أسرته . أما بوذا فلقب له ومعناه العالم . ويلقب أيضاً بسكياموني ومعناه المعتكف من أسرة سكيا .

ولد بوذا قبل المسيح بنحو ٥٦٠ سنة في بلدة على حدود نيبال . وكان من أسرة نبيلة وفيها إمارة وكان هو أميراً . وقد شب مترفاً في النعيم فأكبها في الثروة ، وتزوج في التاسعة عشرة من عمره ، وأقام أمداً في حياة زوجية يشتر عملها وينعم في ظلها ، حتى إذا بلغ التاسعة والعشرين انصرف إلى الزهد والتأمل وهجرتوجه وخرج هائماً في الأحرار والغابات راغباً عن الدنيا ناركا ملاذها ، غير معنى إلا بالتأملات راضياً نفسه على خشونة الحياة وجش العيش . وأقام على ذلك ست سنين دأباً ، لا يضعف ولا يني ، حتى إذا بلغ السادسة والثلاثين من عمره أحس بأن نوعاً من المعرفة قد أشرق في نفسه ، وقذف بثور في قلبه وصارت تلك الحال التي أخذ نفسه بهامزها يجب أن يدعو إليه بقوله وعمله ، ولم يبال بعقبات تكاد طريقه ، ولا

بصعوبات تدعثر سبيله ، فالتف به شيب وشاب ، وصار له تلاميذ يدعون بدعايته ، وانبعثوا في الآفاق دعاة مرشدين ، واستمر عددهم ينمو ويخبرهم يذيع ، ومذاهبهم في الحياة ينتشر ، ويوذا من ورائهم ومعهم لا يكل ولا يمل ، حتى مات في الثمانين من عمره . فكان مدة دعايته مكثت على ذلك أربعاً وأربعين سنة أو تزيد ، وفيها نما المذهب وزاد أنصاره وكثروا وانسابوا في البلاد دعاة بالقول والعمل . ولم يكن يوذا مغنياً بتأليف الكتب بل كان مغنياً بكثرة الرصايا والإرشاد العملي .

٢ - حياة ساذجة لا تعقد فيها ولا تزيد ، ولكن يأبى الذين جاؤا من بعده إلا أن يحوطوها بشتى الأساطير ، أوحت بها الأوهام ، ودفعت إليها أخيلة خصبة ، فقد زعموا أن أمه بشرت به في المنام ، وأن ولادته سبقها معجزات ، وأن الأله حل فيه ، وأن حياته كلها قد أحيطت بالمعجزات ، وهكذا من الأوصاف التي انتهوا بها إلى أنه هو المنقذ المعزى ، والذي قتم نفسه فداء للخليفة من الخطايا . وقد كثرت هذه الأوهام عند البوذيين الذين يسكنون في التبت في الشمال ، أما أهل الجنوب (١) . وهم يبلغون نحو أربعائة مليون فلم تترج كثيراً بينهم هذه الخرافات ، وتلك الأوهام . ومن الغريب أن الأوهام التي جعلها بوذيو التبت أوصافاً لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون شخصية المسيح بعد تغيير النصرانية ، وهامى ذى بعض المقابلات بينهما لتعرف وجه التطابق . (٢)

(١) يلاحظ أن البوذية التي نشأت المندأ كثر متنتها في الصين واليابان .

(٢) مقولة من كتاب « العقائد الوثنية في الحياة النصرانية » .

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا
ابن الله

(١) كان تجسد بوذا بواسطة
حلول روح القدس على العذراء
مايا

(٢) لما نزل بوذا من مقعد
الأرواح ودخل في جسد العذراء
مايا صار رحمها كالبلور الشفاف
النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة

(٣) وقد دل على ولادة بوذا
نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه
نجم بوذا.

(٤) لما ولد بوذا فرحت جنود
السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد
للمولود المبارك قائلين: ولد اليوم
بوذا على الأرض كي يعطي الناس
المسرات والسلام ويرسل النور
إلى المحلات المظلمة ويهب بصرا
للعمى

(٥) وعرف الحكماء بوذا وأدركوا

٥ - دوران ص ٢٩٠

أقوال النصارى المسيحيين في
المسيح ابن الله

(١) كان تجسد يسوع المسيح
بواسطة حلول الروح القدس على
العذراء مريم

(٢) لما نزل يسوع من مقعده
السمائي ودخل في جسد مريم العذراء
صار رحمها كالبلور الشفاف النقي
وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة

(٣) وقد دل على ولادة يسوع
نجم ظهر في المشرق وقال دوان: من
الواجبات أن يدعى «نجم المسيح»

(٤) لما ولد يسوع فرحت ملائكة
السماء والأرض ورتلوا الأناشيد
حمدا للواحد المبارك قائلين المجد لله
في الأعالي وعلى الأرض السلام
وبالناس المسرة

(٥) وقد زار الحكماء يسوع

٥ - إنجيل متى الإصحاح الثامن

عدد ١ إلى ١١

وأدركو أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة

(٦) وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر

(٧) لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم (أنا ابن الله)

(٨) كان يسوع ولداً مخيفاً سعى الملك هيرودس وراه قتله كيلا ينزع الملك من يده

(٩) لما أرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه

أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إلهاً

(٦) وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة

(٧) لما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايا إنه أعظم الناس جميعاً

(٨) كان بوذا ولداً مخيفاً قد سعى الملك بميسارا وراه قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حياً

(٩) لما أرسل بوذا إلى المدرسة أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس

٦- إنجيل متى من الإصحاح ٢

عدد ١١

٧- إنجيل الطفولية الإصحاح ١

عدد ٣

٨- إنجيل متى الإصحاح الثاني

العدد الأول

٩- إنجيل الطفولية الإصحاح ٢٠

عدد وإنجيل لوقا

٦- دوران ص ٢٩٠

٧- كتاب هردي المدعو العقائد

البوذية ص ١٤٥، ١٤٦

٨- كتاب تاريخ البوذية تأليف

نيل ص ١٠٣، ١٠٤

٩- كتاب هردي والعقائد

البوذية وتاريخ الديانة البوذية لنيل

يوسف ، لقد أتيتني بولد لأعله مع
أنه أعلم من كل معلم ،

(١٠) لما صار عمر يسوع اثنتي
عشرة سنة جاؤا به إلى أورشليم
وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل
مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع

(١١) وكان يسوع مارا قرب
حاملي الأعلام فأحنت الأعلام
رؤوسها سجودا له

(١٢) ويعدون سلالة يسوع من
أبيه يوسف في أشخاص مختلفين
وكلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم
أبي البشر وكثير من الأسماء
والحوادث المذكورة في سلالته المذكورة
في التوراة كتاب اليهود .

من قبل وفاق الجميع في الكتابة
والرياضيات والعلوم العقلية
والهندسية والتنجيم والكهانة
والعرافة

(١٠) لما صار عمر بوذا اثنتي
عشرة سنة دخل الهياكل وصار
يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم
يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظره

(١١) ودخل بوذا مرة أحد
الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها
وتمددت عند رجله سجودا له

(١٢) ويصلون نسب كوناما بوذا
من أبيه ، صدودانا ، في أناس كلهم
من سلالة ملوكانية إلى ماها سماطا
وهو على زعمهم أول ملك صار في
الدينا . والحوادث والأنساب
المذكورة في كتاب «بيوران» البرهمي

١٠ - إنجيل الطفولية الإصحاح

٢١ عدد ٢١

١١ - إنجيل نيكوديموس الإصحاح

الأول العدد ٢٠

١٠ - بنصن ، الملك المسيح ،

ص ٣٧

١١ - بنصن ، الملك المسيح ، ٦٧

إلى ٦٩

١٢ - دران ص ٢٩١

ووجد في أنسابه غير أنه لا يمكن
تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها
وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوذية
اخترعوا فيها أسماء تمكنهم من
إعلاء نسب حكيمهم فوق اعتبارهم
إياه إلهاً

(١٣) لما شرع يسوع في التبشير
ظهر له الشيطان كي يجربه

(١٤) وقال «أى إبليس، له
(أى يسوع) أعطيك هذه أى الدنيا،
جميعها إن خررت وسجدت لي

(١٥) فأجابه المسيح وقال اذهب
يا شيطان

(١٣) لما عز بوذا على السياحة
قصد التعبد والتدسك وظهر عليه
«مارا» أى الشيطان، كي يجربه

(١٤) وقال مارا «الشيطان، لبوذا
لا تصرف حياتك في الأعمال الدينية
لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك
الدنيا

(١٥) فلم يعبأ بوذا بكلام
الشيطان بل قال له اذهب عنى

١٣- إنجيل متى الإصحاح ٤
عدد ١: ٨

١٤- إنجيل متى الإصحاح ٤
من ١٠- ١١

(٢٥) إنجيل لوقا الإصحاح ٤
عدد ٨

١٣- دوان ص ٢٩٢

١٤- دوان ص ٢٩٢

١٥- دوان ص ٢٩٢

(١٦) ثم تركه إبليس وإذا ملائكة
قد جاءت فصارت تخدمه

(١٧) وصام يسوع وقتاً طويلاً

(١٨) ويوحنا عمده يسوع بنهر
الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو
لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح
القدس الذي فيه تم تجسده عند ما حل
بالعذراء مريم فهو الآب والابن
وروح القدس

(١٩) لما كان يسوع على الأرض
بدلت هيئته وبعد ستة أيام أخذ
يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه
وصعد بهم إلى جبل عال منفردين
وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه

(١٦) إنجيل متى الإصحاح ٤

عدد ١١

(١٧) إنجيل متى الإصحاح ٤

عدد ٢

١٨ - إنجيل متى الإصحاح ٧

عدد ٢٠١

(١٩) ولما ترك ما رآه أى الشيطان.
تجربة بوذا أمطرت السماء زهراً
وطيباً ملاً الهواء طيب عرفة

(١٧) وصام بوذا وقتاً طويلاً

(١٨) وقد عمده بوذا المخلص حين
عمادته بالماء وذن روح الله حاضراً
وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل
وروح القدس الذي فيه صار تجسد
كوتاماً لما حل على العذراء مايا

(١٩) ولما كان بوذا على الأرض
في أواخر أيامه بدلت هيئته وهو
لذا ذاك على جبل «بنديافا» أى
الأصفر المبيض في «سيلان» ونزل
عليه بغثة نور أحاط برأسه على شكل

(١٦) دوان ص ٢٩٢

(١٧) دوان ص ٢٩٢

(١٨) كتاب الملاك المسيح ص ٤٥

تأليف بنصن

(١٩) كتاب الملاك المسيح ص ٤٥

كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور

الجميل ويقولون إن جسده أعضاء
منه نور عظيم وصار كتمثال من
ذهب براق مضيء كالشمس أو كالقمر
وحيث تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة
وحيث رأى الحاضرون هذا التحول
في هيئته قالوا ما هذا بشر إن هو
إلا إله عظيم

(٢٠) وعمل يسوع عجائب وآيات
مدهشة لخير الناس وكافة القاصص
المختصة فيه حارية لذكرى أعظم
العجائب بما يمكن تصوره

(٢٠) وعمل بوذا عجائب وآيات
مدهشة لخير الناس وكافة القاصص
المختصة فيه حارية لذكرى أعظم
العجائب بما يمكن تصوره

(٢١) وفي صلاتهم ليسوع يتأمل
المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس

(٢١) وفي صلاتهم لبوذا يتأمل
المؤمنون به دخول الفردوس

(٢٢) لما مات يسوع ودفن انحلت
الأكفان وفتح القبر بقوة إلهية

(٢٢) لما مات بوذا ودفن انحلت
الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة
غير طبيعية « أى بقوة إلهية »

٢٠ - إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد
٢٨ - ٣٤ وغيره

٢١ - دوان ص ٢٩٣

٢٢ - إنجيل متى الإصحاح ٢٨
وإنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠

٢٠ - دوان ص ٢٩٣

(٢١) دوان ص ٢٩٣

(٢٢) كتاب بنص الملاك المسيح

٤٩

(٢٣) وصعد يسوع بجسده إلى
السماء من بعد صلبه لما أكمل عمله في
الأرض

(٢٤) ولسوف يأتي بوذا مرة
ثانية إلى الأرض ويعيد السلام
والبركة فيها

(٢٥) وسيدن يسوع الأموات
(٢٦) يسوع الألف والياء ليس
له انتهاء وهو الكائن العظيم، والواحد
الأبدى

(٢٧) يسوع هو مخلص العالم وكافة
الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع
عنايه عن الذين اقترفوها، ومخلص العالم

٢٣ - أعمال الرسل الإصحاح
الأول عدد ١-١٢
٢٤ - أعمال الرسل الإصحاح الأول
٢٥) إنجيل متى الإصحاح ٦
عدد ٢٢
٢٦) إنجيل يوحنا الإصحاح ١
عدد ١
٢٧ - دوان ص ٢٩٣ وكذلك
التعلم المسيحي

(٢٣) وصعد بوذا إلى السماء
بجسده لما أكمل عمله على الأرض

(٢٤) ولسوف يأتي بوذا مرة
ثانية إلى الأرض ويعيد السلام
والبركة فيها

(٢٥) وسيدن بوذا الأموات
(٢٦) بوذا الألف والياء ليس له
انتهاء وهو الكائن العظيم، والواحد
الأزلي

(٢٧) قال بوذا غلتكن الذنوب
التي ارتكبت في هذه الدنيا على ،
ليخلص العالم من الخطيئة

٢٣ - دوان ص ٢٩٣
٢٤) دوان ص ٢٩٣
٢٥) دوان ٢٩٣
٢٦) دوان ص ٢٩٣
٢٧) كتاب مولر المدعو تاريخ
الآداب السلسكرتية ص ٨٠

(٢٨) قال يسوع أخفوا الأعمال
الحسنة التي تفعلونها ، واعترفوا
بذنوبكم علانية

(٢٩) ويصفون بوذا أنه ذات
من نور غير طبيعية، شمس برودعه
الشیطان الحية القديمة

(٣٠) وفي أحد الأيام قعد يسوع
قرب بئر ماء بعد ما سار مسافة ، حتى
كاد ينهكه التعب ، وبينما هو قرب البئر
عند مدينة السامرة أتت امرأة اسم
لتملاً جرتها من البئر ، فقال لها يسوع
اسقيني شربة ماء فقالت له المرأة
السامرية أنت يهودى وكيف تطلب
منى شربة ماء فإن اليهود لا يستحلون
معاملة السامريين

(٢٨) قال بوذا. أخفوا الأعمال
الحسنة التي تفعلونها ، واعترفوا
بذنوبكم علانية

(٢٩) ويصفون بوذا أنه ذات من
نور غير طبيعية والشرب مارا
و ويدعونه أيضاً الحية ، ذات مظلمة
غير طبيعية

(٣٠) وفي أحد الأيام التقى أنا ندا
تليذ بوذا وهو سائر في البلاد بالمرأة
(مناجى) وهي من سبط الكندلاس
المرذلين قرب بئر ماء ، فطلب
منها قليلا من الماء فأخبرته عن
سبطها وأنه لا يجوز له أن يقترب
منه ، لأنها من سبط محقر ، فقال
لها يا أختي إني لم أسألك عن سبطك
وعن عائلتك ، إنما سألتك شربة ماء
فصارت من ذلك الحين تليذة بوذية

(٢٨) إنجيل متى الإصحاح ٦
عدد ١ ورسالة يعقوب

(٢٩) إنجيل يوحنا الإصحاح ٤
العدد ١ وإنجيل لوقا

(٣٠) إنجيل يوحنا الإصحاح ٤
عدد ١ : ١١

٢٨ - مولر كتابه المدعو العلوم
الدينية ص ٢٨

٢٩ - بنصن الملاك المسيح ص ٣٩
ودوان ص ٢٩٤

(٣٠) كتاب مولر المدعو العلوم
الدينية ص ١٤٠

(٣١) قال بوذا إنه لآيات لينفض
الناموس كلا بل أني ليكله وقد سره
عد نفسه حلقة في سلسلة المعلمين
الحكام.

(٣٢) وبحسب تعليم بوذا يجب
أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا
وجيراننا بالمحبة والحسنى

(٣٣) وفي أوائل أيام بوذا التي
علم وبشر فيها ذهب إلى مدينة بينارس
وعلم فيها فتبعه كوندينا ثم تبعه أربعة
رجال آخرين وصاروا جميعهم
تلامذة له، ومن ذلك الحين صار إنما
علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون
ويصيرون من أتباعه وتلاميذه
(٣٤) وقال بوذا للذين صاروا

(٣١) قال يسوع لا تظنوا أني
جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء،
ما جئت لأنقض بل لأكمل

(٣٢) وقال يسوع أحبوا أعداءكم،
باركوا الاعداء، أحسنوا إلى مبغضكم

(٣٣) وفي أوائل أيام يسوع التي
علم وبشر فيها ذهب إلى مدينة كفر
ناحوم وعلم فيها فتبعه من ذلك الحين
أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ
له ومن هذا الحين صار إنما كرز يتبعه
رجال ونساء كثيرون يؤمنون به

(٣٤) وقال يسوع للذين صاروا

٣١- إنجيل متى الإصحاح ٥

عدد ١٧

٣٢- إنجيل متى الإصحاح ٥

عدد ٤٤

٣٣- إنجيل متى الإصحاح ٤

عدد ١٣ - ٢٥

٣٤- إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد

٢٠١٩ والإصحاح ١٦ عدد ٢٥ - ٢٨

٣١- كتاب بنصن الملاك المسيح

ص ٤٧، ٤٨

٣٤- هاردي في كتابه المدعو

الرهبانية في الشرق ص ٢٢٠، ٥

تلامذة لتركوا الدنيا وغنام
وينذروا عيشة الفقر والفاقة

تلامذة له لتركوا غنام وينذروا
عيشة الفقر والفاقة

(٣٥) وجاء في كتاب البوذية
القانونية المقدسة أن الجروع طلبوا
من بوذا علامة وأي آية، ليؤمنوا به

(٣٥) وجاء في كتب النصرى
المقدسة أن الجروع طلبوا من يسوع
آية كي يؤمنوا به

(٣٦) لما اقترب انتهاء أيام بوذا
على الأرض وعلم الحوادث المقبلة
التي ستقع قال لتلميذه: أنا نندا ما يأتى
يا أنا نندا متى أما ذهبت لا تظن أنهم
يعد لبوذا وجود كلا، فالكلام الذى
قلته والفرائض التي افترضتها تكون
خلفا عنى وهى لك كذاتى أنا

(٣٦) لما اقترب انتهاء أيام يسوع
على الأرض أخبر عن الحوادث التي
ستقع من بعده وقال لتلاميذه: اذهبوا
وتلذذوا جميع الأمم. وعلوهم أن
يحفظوا هم جميع ما أوصيتكم به وها
أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر

(٣٧) وجاء في التعاليم البوذية
أن إنفاق الإنسان لماله من أعظم
الصعوبات ومن ينفق غناه هو أشبه
بمن يهب بروحه؛ لأن النفس تبخل

(٣٧) وإذا واحد تقدم وقال
له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل
ليكون الحياة الإبدية. قال له يسوع:
إن أردت أن تكون كاملا فاذهب

(٣٥) إنجيل متى الإصحاح ١٢
عدد ١٢

(٣٦) إنجيل متى الإصحاح ٢٤
وإنجيل مرقس الإصحاح ٨ عدد ٣١
(٣٧) إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ٦

٢٠٠١٩

(٣٥) كتاب علم الأديان ص ٢٧
تأليف مولر

٣٦ - كتاب الموناشيزم الشرقية
ص ٢٣٠ تأليف هاردى .

(٣٧) مولر فى كتاب علوم الدين
ص ٢٤٤

وبع أسلاكك وأعط الفقراء فيكون
لك كنز في السماء وتعال اتبعني
لا تكثروا لكم كنوزا على الأرض
حيث يفسد السوس والصدأ وحيث
ينقب السارقون ويسرقون بل اكثروا
لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد
سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب
سارقون ولا يسرقون

(٢٨) ومن ذلك الزمان ابتداء
يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه
اقرب ملكوت السموات .

(٣٩) من بعد تجربة الشيطان
ليسوع ابتداء يسوع بتأسيس مملكة
دبليّة ومن أجل هذا الغرض ذهب
إلى مدينة كفر ناحوم ومن ذلك
الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول

(٢٨) إنجيل متى الإصحاح ٤

عدد ٧

(٣٩) إنجيل متى الإصحاح ٤

عدد ١٢، ١٧

بالمال وتمسك به ، وببوذا قد وهب
وتذر حياته شفقة وحنوا للخير
الناس ، فلماذا تمسك بغناء الدنيا
الزهد ولما تخلص بوذا من حب
المشتبهات الدنيوية وملذاتها فال
المعرفة الإلهية وصار الرأس فليعمل
الرجل الحكيم الهاجر للملذات الدنيا
الخير مع كل أحد حتى تقديم نفسه
فداء عن الغير ، عندها يصل إلى
المعرفة الحقيقية

(٢٨) وكان قصد بوذا تشييد
مملكة دنيبة أي مملكة سماوية

(٣٩) وقال بوذا الآن أحببت
إدارة دولاب الشريعة العظيم ومن
أجل هذا فإني ذاهب إلى مدينة
بينارس لأهب نورا للتائبين في
الظلام وأفتح باب الحياة للإنسانية

(٢٨) بيل تاريخ البوذية ص ١٠

(٢٩) ، ، ، ص ١٤٤

نوبوا لأنه قد اقرب ملكوت الله ،
الشعب الجالس في ظلة أبصر نورا
عظيما ، والجالسون في كورة الموت
وظلاله أشرق عليهم نور .

(٤٠) الناموس أعطى لموسى أما
النعمة والحق فبیسوع المسيح صار
الحق أقول لكم السماء والأرض تزول
ولكن كلامى لا يزول

(٤١) قال يسوع : قد سمعتم أنه
قيل للقدماء لا تزني وأما أنا فأقول
لكم إن كل من ينظر إلى امرأة
ليشتهها فقد زنى بها قلبه .

(٤٠) وقال بوذا للتلميذ الحبيب
أنا نداء إن كلامى لا يرب فيه فلا يزول
قطعا ولو وقعت السموات على
الأرض وابتلع العالم وجفت البحار
واندك جبل سومر وصار قطعاً

(٤١) قال بوذا لا يوجد شيء
أعظم فعلا في الإنسان من الاشتهاء
والهواء الشهواني ولحسن الحظ
والسعادة لا يوجد سوى اشتها
شهوواني واحد ولو كان يوجد اشتها
آخر لما كان على وجه الأرض رجل
يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق
بصركم في النساء وإن كنتم مجتمعين
معهن فأجعلوا اجتماعكم كأنكم غير

(٤٠) إنجيل يوحنا الإصحاح
الأول عدد ١٧ وإنجيل لوقا

(٤١) إنجيل متى الإصحاح
الخامس عدد ٢٧ ، ٢١٠

(٤٠) بيل تاريخ البوذية ص ١١

(٤١) كتاب تقدم الأفكار الدينية
المجلد الأول ص ٢٢٨

حاضرين معهم وإذا كلتوهن
فاحترسوا على قلوبكم

(٤٢) لحسن للرجل أن لا يمس
امرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم
فليزوجوا لأن التزويج أصلح من
التحرق

٤٣، وفيما هو يجتاز رأى إنسانا
أعمى مندولادته فسأله تلاميذه قائلين:
يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى
ولد أعمى

(٤٢) وقال بوذا الرجل العاقل
الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة
الزوجية كاتون نار متأججة ومن
لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب
عليه الابتعاد عن الزنى .

(٤٣) ومن جملة التعالم البوذية
قولهم إذا أصاب الإنسان حزن
والآلام وبؤس وقنوط فإن ذلك يدل
على أنه ارتكب آثاما، وهذه الآلام
جزاء عليها، وإذا لم يكن ارتكب
شيئا من الآثام في هذا الدور الحاضر
من حياته لا بد أن يكون قد ارتكبه
في أحد الأدوار السابقة من ظموره
• أى في أحد أدوار تقمصه .

٤٢، رسالة كورثوس الأولى
الإصحاح ٧ عدد ١ - ٩

(٤٣) إنجيل يوحنا الإصحاح
التاسع = ٢٠١

(٤٢) ريس دانس في كتابه المدعو
البوذية ص ١٠٣

(٤٣) ريس دانس في كتابه المدعو
البوذية ص ١٠٣

٤٤) كان يسوع يعلم أفكار الناس
عندما يدبر تصوراته نحوهم وأنه قادر
على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٥) قال يسوع فإن كانت عينك
اليمين تعثرك فاقلعها وألقها عنك

٤٦) لما كان يسوع داخلا
اورشليم راكباً على حمار فرشت له
الجموع الطريق بأغصان النخيل

٤٤) إنجيل يوحنا الإصحاح
الرابع كلامه مع المرأة السامرية

٤٥) إنجيل متى الإصحاح ٥
عدد ٢٩

٤٦) إنجيل متى الإصحاح ٢١
عدد ٩، ١

٤٤) كان بوذا يعلم أفكار الناس
عند ما يدبر تصوراته نحوهم ويقدر
على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٥) وجاء في كتاب الصوماديفا
حكاية منسوبة لأحد القديسين
البوذيين أنه قلع عينه ورماها لأنها
شكته

٤٦) لما عزم بوذا على التنسك
كان راكباً جواداً يدعى كنتاكو
ففرشت الملائكة طريقه بالزهر

٤٤) هردي في كتابه المدعو
خرافات البوذيين ص ١٨

٤٥) كتاب مولر المسمى العلوم
الدينية ص ٥٤٢

٤٦) هردي في كتابه المسمى
خرافات البوذيين ص ١٣٠

٣ - وقد كانت كثرة هذه الأساطير، والأخبار التي يعسر على العقل أن يصدقها من غير بينات قائمة، وسلطان سبباً في أن وجد من المؤرخين من يزعم أن بوذا شخصية خرافية لا وجود لها، وأن البوذية ليست إلا مجموعة تعاليم انتحلت لها هذه الشخصية انتحالاً. ولكن الحق أن بوذا وجد حقاً وأن قبره قد قامت بجواره مسلمان، وأنه قد وصل إلى تعاليم وحقائق عن طريق التجربة والمقابلات الدقيقة بين الأمور والآراء المختلفة، وأنه كان على جانب عظيم من طيبة النفس، وحسن الخلق، ولطف المعشر، وكانت نفسه معتزلاً شديداً لنضال بين نوازع الجسم وما أخذ به نفسه بالرياضة، حتى انتهى بالانتصار على لذاته انتصاراً مؤزراً.

ولكن مع الاعتقاد بوجود بوذا نقول إن كل ما أحيط به من أساطير باطل لا يقوى على النظر الصحيح والفكر الثاقب.

٤ - آراء بوذا والإلهيات :- ثبت أن بوذا كان عاكفاً على دراسة واحدة هي التي جعلها عماد نظره، وقوام بحثه، والأساس الذي بنى عليه ديانته، أو بعبارة أدق مذهبه الخلق، وتلك الدراسة كان موضوعها تخفيف ويلات الإنسانية، والقضاء على الشقاء في هذه الحياة، واحتثائه من أصله. ولكن قوماً من الباحثين ادعوا أنه أنكر حقيقة تين، وهما «١» الألوهية «٢» النفس الإنسانية.

أما الأول فقد زعم بعض المؤرخين أنه روى عن بوذا أنه أنكر وجود إله قد أنشأ الأكوان. ويقولون إنه كان يقول: وما الإله؟ أهو العناصر نفسها؟ لئن كان ذلك، ما كان في الأمر جديد غير وضع اسم على شيء، ويقول أنصار ذلك إنه كان يعتقد أن في العالم فقط روحاً عاماً متغلغلاً في كل شيء.

وإن الذي نعتقده أن بوذا لم يتعرض للبحث في الألوهية بسلب أو إيجاب، وأن مذهبه لإصلاحى اجتماعى خلق أكثر منه دينى، ولذا لم يتعرض للأهوت، ولعل العبارة التى وردت فى بعض الروايات كانت فى أثناء حيرته وهو منهمك فى الأدغال والأحراش، هائم على وجهه طالبا للحقيقة، بل إن العبارة يبين من لحظها واستفهامها أنها عبارة شاك متحير لا عبارة منكر جاحد. وإن أولئك الذين يعتمدون على تفكيرهم الخاص فى الوصول إلى الحقيقة يعتبرهم مثل ذلك الاضطراب.

والمذهب لا يؤخذ من قول المفكر عند حيرته ولا من عبارة تلقف عنه، بل المذهب ما يستقر عليه الشخص، ويتجه إليه، ويدعو الناس لاعتنافه، ولم يدع أحد أن ذلك كان جزءا من مذهبه وآرائه، دعا الناس إليه، بل إن منتحلي نحلته كانوا جميعاً يؤمنون بقوة سيطرة على العالم، ولم يمنعهم ذلك من أن يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبه، وإذا كان من متبعيه من نحله أوصاف الإله، فذلك دليل يظن معه أنه ليس من دعايته انكار الإله.

هـ - وأما انكار النفس، فقد ورد أيضاً منحولا له، ولكن ذكرته أكثر المصادر، فهو أقوى سندا من الإنكار الأول، وأصدق سبه ولكنه لا يتلام مع جملة أفكارهم، وخلاصة ما يلسب إليهم، وبما يلسب إليهم بلا ريب فى نسبته (التناسخ) والتناسخ لا يفهم إلا إذا كان للنفس كيان قائم مستقل عن الجسم، وليست خاصة له، ولا ظاهرة من ظواهره. ويان ذلك أن التناسخ يقتضى أن يكون شيء منتقلا من جسم إلى جسم حتى يصعد فى مدارج الرقى أو يكفر عن الخطايا بالنزول فى جسم أدنى، ونحو ذلك، ولا جائز أن يكون ذلك الشيء جسما، لأنه لا معنى لانتقال جسم حى فى جسم آخر حى، إلا إذا كان فى أحدهما خاصة ليست فى الأول،

وهي غير الحياة ، لأن كليهما فيه الحياة ، فلا بد أن يكون ذلك
معنى نفسياً .

ولهذا رأى بعضهم لكي تتلاءم فكرة التناسخ مع فكرة إنكار النفس ،
أن يقول: إن النفس غير موجوده، ولكن هناك رغبة هي التي تنتقل من جسم
إلى جسم ، ومن حي إلى حي تبعاً لقانون التناسخ ، وهذا فرض لا يمنع
الاعتراض الوارد ، والتناقض الواقع ، لأن هذه الرغبة أهي خاصة
للجسم ، أم هي شيء غير الجسم ؟ فإن كانت شيئاً غير الجسم ، فهي النفس
سواء أسمها رغبة أم نفساً ، وبذلك يعود هذا على أصلهم بالنقض ،
ويؤدي كلامهم إلى نقيض ما يدعون ، ويهدمون بيد ما يبنونه باليد
الأخرى .

وإن كانت الرغبة خاصة من خواص الجسم ، ولازمة من لوازمه
فكيف تنتقل إلى جسم آخر وهي خاصة من خواص غيره ؟ ذلك يقتضى
أن ينتقل الجسم مع رغبته الخاصة به ، لأنه من غير المعقول أن يوجد
اللازم من غير ملازمه والخاصة من غير المختص بها .

لهذا كله نقول: إن إنكار بعضهم للنفس يتنافى مع اعتقادهم التناسخ الثابتة
نسبته لهم والتوفيق بينهما يؤدي إلى أمور لا يقبلها العقل ، أو يؤدي إلى
هدم أحد الأمرين اعتقاد التناسخ أو إنكار النفس .

٦ - المذهب البوذي العملي : - الجزء الخصب في البوذية هو مذهبها
في الأخلاق واصلاح المجتمع ، وتخفيف ما فيه من شقاء ، فلقد لاحظ بوذا
أن هذه الحياة تحوطها الأكدار والآلام من كل جانب ، بل إنها آلام
تتبعها أحزان تشقق المرائر . وتجعل كل إنسان في نعص دائم وبليل

مفسر ، ولاحظ أن مشأ تلك الآلام التي طم سيلها في هذه الحياة -
الذات والأمان التي تبعها الرغبات في التي استحوذت عليها الملاذ
والشهوات .

فالذات في عقباها آلام ، وإن تطلعت النفس إليها وتمتها كان في الحرمان
منها آلام أيضاً : فلو لا انبعاث الذات ، ما كانت الآلام ولولا استهواء
الأمان التي تبعها الذات ما كانت آلام الحرمان ؛ لذلك كان لابد لمحو الآلام
القضاء على أصلها ، والنبعة التي نبعت فيها ، وذلك يكون بالقضاء على الذات
وآمالها وأمانها ، ولا يتم هذا إلا إذا راض الشخص إرادته على هجر
الذات جملة ، ومجاهدتها ليكون للإنسان القدرة التامة ، فلا يناله الحرمان
من لذة بمضض الألم .

لهذا كاه كان العباد الذي أقام عليه بوذا مذهبه في السلوك القويم للإنسان
أن يجاهد الشخص الشهوات ؛ ويروض إرادته والعود أخضر على ترك الذات ،
والصبر على الحرمان منها ، فلا يكون ألم .

٧ - ولكي يصل الشخص في يسر ومن غير عنف إلى تلك الغاية
السامية وهي رياضة الإرادة لكي يتحمل الحرمان من غير ألم يصحبه
يجب عليه سلوك الجادة المستقيمة والممر الوسط ، وذلك بأن يكون في
حياته كلها مقيدا نفسه بثمانية أمور في كل شأن من شئون الحياة ، وتلك
الثمانية هي :

أ) الاتجاه الصحيح المستقيم بأن يتجه إلى أي أمر يريد انجاءها صحيحا
مستقيا خالينا من كل سلطان للشهوة واللذة وما تبعته من أمان وأحلام
فاسدة ، فيجتهد عند الاتجاه إلى أي أمر في أن يخلص إرادته من شائبة الذات

أو الشهوات ، وما يتصل بها من آمال تبعثها وأحلام تثيرها ، وفي الجملة ينشئ نفسه من كل ما يتصل باللذة عند الانجاء .

ب) الإشراق الصحيح المستقيم ، وذلك أن الإنسان عند الانجاء إلى أمر من الأمور انجاءها مستقيماً خالياً من شوائب اللذات ، تعتريه نورانية تجمله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء من غير أن يرنق نظره أى درن من أدراة اللذة ، ولا يرين على عقله ما تثيره من أهواء .

ج) التفكير الصحيح المستقيم . وذلك أن العقل إن خلا من شوائب اللذة ، ونال الإشراق الصحيح كان تفكيره مستقيماً ، وكانت العمليات العقلية التي يقوم بها في التفكير في هذا الأمر مستقيمة لا تؤثر فيها نزعة هوى ، ولا جموح شهوة . ولا اضطراب الأمان والأحلام في قلبه .

د) ولا شك أن هذه المستقيمت الثلاثة السابقة: الانجاء المستقيم والإشراق المستقيم ، والتفكير المستقيم يترتب عليها أمر رابع مستقيم ، وهو اطمئنان العقل والقلب إلى فكرة خاصة من بين ما يعرض لها من الأفكار والآراء والأنظار . وذلك هو الإيمان المستقيم . أو الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان ، وبه يصير القلب في روح وريحان من النعم المعنوى .

هـ) والذي ينتمى الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم ، وذلك بأن يكون نطق الإنسان بما انتهى إليه من فكرة مطابقاً تمام المطابقة لاغتنامه ، ولما ارتاح إليه ، وعمر قلبه بالسرور به .

و) السلوك المستقيم : وذلك هو الأمر السادس الذي لا بد منه لسلوك المرء الوسط ، والسلوك المستقيم ما يكون مطابقاً لكل ما قام بالقلب من

اعتقاد فيكون العمل على وفق العلم ، فلا مجافاة بينهما ، ولا مناقضة ، بل يكون كل منهما مؤكدا للآخر أو متمم له .

(ز) الحياة الصحيحة ، بأن يكون قوامها هجر اللذات هجرا تاما وأن يكون كل ما يجرى فيها متطابقا مع السلوك القويم ، والعلم الصحيح ولا يشذ فيها شيء . عن مقتضى هذا السلوك ، وأحكامه .

(ح) الجهد الصحيح . وذلك بأن تكون كل الجهود التي يبذلها الإنسان في سبيل أن تكون الحياة مستقيمة سائرة على مقتضى السلوك ، والعلم والحق ، ومنع كل ماله صلة باللذات ، أو من شأنه أن يثير دواعيها ، ويحفز إليها .

٨ - هذه هي الأمور التي لو تمت على وجه مستقيم سار الشخص على الجادة ، وسلك المر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خالية من الآلام خلوها من دواعيها ، وهي الشهوات واللذات .

وإذا كان في هذا الكلام شيء من الخير ، فهو في مقاربتة في بعض نواحيه إلى ما يرمى إليه الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب الشيء لا يحبه إلا لله ، بأن يحب الشيء خاليا في محبته له من كل شوائب الأغراض والأهواء قاصدا بمحبته وجه الله سبحانه وتعالى ، وذلك في جملة يقرب منه في الاتجاه الصحيح ، وإن كان معنى الحديث أسمى ، وأدق ، وأحكم .

٩ - وإذا كان ما تقدم هو لب الفضائل البوذية ، وما تدعو إليه من مجاهدة اللذات وبواعثها ورياضة الإرادة على تركها جملة ، فالذائل عند البوذيين منشؤها هو اللذات ، والانهماك فيها ، وما تدعو إليه . ونقيض

ما تقدم من الأمور المستقيمة التي يتكون منها المر الوسط هو أس
الذائل وعماد الآلام ولذلك يرجع الرذائل إلى أصول ثلاثة .

(أ) الاستسلام للملاذ فإنه يجعل الحياه كلها في ألم مستمر ، وفوق ذلك
يعكس نظر الأشياء في العقل والقلب ، فكل نظر يكون مغشياً بنشارة من
الشهوات والرغبات والأحلام الفاسدة ، والأمانى الكاذبة التي تبعث إليها
اللذات الملحة .

(ب) سوء النية في طلب الأشياء ، وذلك من استمكان اللذات في النفس
فإن الغرض الفاسد يتحكم في طلب الإنسان للأشياء ، فلا يصير واضح
المقصد بين الغاية لما له من مآرب يطلبها ويستترها ، وغايات تدفعه ولا يناهها ،
ويدفعه إلى الكتمان رغبة نيلها ، وتوقع الاعتراك بينه وبين غيره فيها ،
لذلك يسود سوء النية ، فهو إذن وليد استمكان اللذة في القلب ،
واستيلاتها عليه ، وهو أيضاً أصل لكثير من الرذائل كالغش والكذب
والنميمة وغير ذلك .

(ج) الغباء وعدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح وفي أكثر
الأحيان يكون ذلك منشؤه من رين الشهوات على النفس . وسدها سبيل
الإدراك الصحيح فيصبح العقل لا يرى إلا ما تعكسه عليه ، ويمتنع على
النفس الإشراق الذي ينشأ من التجرد من الملاذ ، والإلهام الذي يكون من
هجر الشهوات .

١٠ - وقد ذكر في كتب البوذية عشر رذائل ، جاء النهي عنها في تلك
الكتب على صورة وصايا ، وهي لو أخذ الشخص نفسه بها ، ورعاها
حق رعايتها ، كان في الأخذ بها استيلاء تام على الإرادة ، وتلك الوصايات
العشر هي :

- ا ، لا تقتل أحداً ، ولا تقض على حياة حى .
 ب ، لا تأخذ مالا لا يقدم إليك ، فلا تسرق ولا تنتصب .
 ج ، لا تكذب ، ولا تقل قولاً غير صحيح .
 د ، لا تشرب خمرأ ، ولا تتناول مسكراً ما .
 هـ ، لا تزن ، ولا تات أى أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً .
 و ، لا تأكل طعاماً نضج فى غير أوانه .
 ز ، لا تتخذ طيباً ، ولا تكلل رأسك بالزهر .
 ح ، لا ترقص ، ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء .
 ط ، لا تقتن فراشا وثيراً ؛ فلا تقتن أرائك فخمة ، ولا وسائد ولا
 حشايأ وثيرة .

ي ، لا تأخذ ذهباً ولا فضة .

١١ — هذه هى الوصايا العشر التى يأخذ بها البوذى ليروض إرادته على ترك الملاذ ، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات ، وتخفيف ويلات الحياة ، ومنها ترى أنهم يحثون على عدم أخذ الذهب والفضة . كأنهما الأمر الذى تفضل عنده الأفهام ، وتستيقظ حوله المطامع وكأنهما مدخر اللذة ، لاستعانة الناس بهما فى اجتراع اللذات ، واجترار الشهوات ، ولهذا النهى عن اقتناء الذهب والفضة قال العلماء : إن البوذية تحث على عدم الملك ، وتطالب البوذى أن لا يملك شيئاً ولا يقتنى شيئاً ، فهو يطلب طعامه يوماً بعد يوم ، ولا يدخر من يومه إلى غده .

ولقد كان هذا سبباً فى أن ينقسم البوذيون إلى قسمين :

• أحدهما ، البوذيون الديليون الذين أخذوا أنفسهم بالتعاليم السابقة لا يجيدون عنها قيد أملة ، وقيدوا أنفسهم بأنواع من الأطعمة لا يعدونها ،

ويحرمون كل شيء غيرهما ، ولا يلبسون إلا خشن الثياب ولا يرضون إلا
جشب العيش ، لما راضوا أنفسهم عليه ، من ترك كل لذات الحياة وراهم
ظهوريا ، ليستولوا عليها ويمتنعوا عن آلامها .

« ثانيهما ، البوذيون المديون ، وأولئك هم البوذيون الذين لم يطبقوا
تطبيق المنهاج الشاق الذي أخذ به الديليون منهم ، فاختاروا لأنفسهم طريقا
وسطا ليس فيه إفراط غير البوذيين في اللذات ، ولا شدة البوذيين الدينيين
بل هو وسط بين التجدين . أخذوا الأخلاق البوذية من تواضع وإيثار
وحب للفداء وصدق وأمانة وحلم وعلم وصفاء ، ونالوا بعض الملاذ التي
لا تعقب ألما ، ولم يندفعوا فيها حتى يصابوا بالمدح عند الحرمان (١) وفي الوقت
الذي سلكوا فيه هذا المسلك آروا اخوانهم الديليين ، وأعانوهم على
طريقتهم ، وأمدوهم بالأسباب التي تعاونهم على الإيغال في مذهبهم ، معتقدين
أن من آمن ببوذا ، وتحلى بما يدعو إليه من أخلاق وآوى رجال دينه ،
وأعانهم ثم تناول بعدك بعض متع هذه الحياة ، فإنه يصل إلى طريق
الخلاص ، ويرقى إلى مرتقى السعادة والنجاة .

(١١) ما بين البرهمة والبوذية : تبين مما مضى أن البوذية لم تكن بالبحث
عما وراء الطبيعة ، فلم تنجح إلى الدراسات التي تتصل بالألوهية ، وحدود
سلطانها بل كل عنايتها كان لإصلاح الإنسانية بإنقاذها من الآلام ، وإبعادها
عن ويلاتها ، بريضة الإنسان على هجر اللذات ، وتربية الإرادة على
إهمالها وعدم العناية بها على ما تقدم ، وهذا كما ترى فارق بين البوذية
والبرهية ، فإن البرهية كانت فيها العناية الكبرى بالجانب الإلهي . والتقرب

(١) ولقد استكنى المديون بأن يطبعوا من النواهي المشرة المتقدمة الخمسة الأولى فقط
وهي النواهي من القتل ، والسكر ، والسرقة ، والكذب ، أما خمسة النواهي الأخرى فهي
خاصة المديين .

للمعبود، والفناء فيه، وكل ما فيها من نسك فهو لهذه الغاية فإذا اتحدت البوذية والتبرهمية في النسك والزهد في الملاذ وهجرها، فالغاية مختلفة، فغاية البرهمي الزلني والتقرب للمعبود وإعطاؤه ما يستحق من عبادة، أما البوذي فغاياته من النسك رياضة الإرادة على الحرمان، وتعويدها للسيطرة على الرغبة في الملاذ، لكيلا تشقى بطلبها ويحز فيها الحرمان.

ولقد كان أبلغ ما أحدثته البوذية من أثر في المجتمع الإنساني، إلغاؤها نظام الطبقات واعتبارها بني الإنسان سواسية كأسنان المشط يتفاضلون في المواهب، ويتساوون في الحقوق، لافرق بين شخص وشخص بلسبه أو طبقتة؛ ولكن الفرق بينهما بالموهبة والقدرة والعمل. محابوذا إذن الفرق بين الطبقات وتلاقى الناس في مذهبه عند الوحدة الإنسانية، من غير اعتبار للاختلاف العنصري ولا فضل لأحد إلا بالمعرفة وسيطرة الإرادة الإنسانية سيطرة تامة، لتتقوى الذات على الغلب عليها.

١٢ - كتب البوذية : كتب البوذيين ليست منزلة، ولا يدعون ذلك هم، بل هم لا ينسبون ما فيها إلى جانب إلهي، بل هي عبارات منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله أو نقل لما أقره من أعمال أتباعه ونصوص تلك الكتب مختلفة بسبب انقسام البوذيين في نحلهم. فبوذيو الشمال لديهم نصوص ليست عند أهل الجنوب، وأكثرها قد اشتمل على أوام كثيرة، تتعلق بوذا، أو حلول الأله فيه، ونصوص بوذيو الجنوب هي الأصح نسبا، والأصدق قولاً والأبعد عن الأوام، وهي التي نعتمد على بيانها.

تنقسم تلك الكتب إلى ثلاثة أنواع، أولها، يشتمل على مجموعة قوانين البوذية، مسالكها، وقد جمعت تلك المجموعة سنة ٢٥٠ ق م وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام. قسم يحوى العقوبة المفروضة على ما يقع من البوذي من ذنوب ومخالفات، ويحوى نحو سبع وعشرين ومائة فقرة. وقسم يحوى

التعاليم التي يجب اتباعها لتربية النفس على ما يدعو اليه البوذيون ، وفيه قرارات المجالس البوذية التي انعقدت فيما بين سنتي ٢٨٠ و ٢٢٠ ق م وفيه أيضا بيان بما يتبع لقبول طالبي البوذية واجتماعات البوذية ، وتفصيل حياة البوذي . وقسم فيه خلاصة القسمين الماضيين ، ليكون في متناول الجماهير ، وفيه خلاصة للسلوك القويم الذي يدعو اليه البوذيون .

• ثانيها ، مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا ، ووصاياه ، وهي مجموعات مختلفة تضم كل مجموعة طائفة من المسائل المتقاربة في الفكر ، وفي هذه الخطب وصايا بوذا ، ودعوته التي وجهها إلى الناس وكثير من الأحكام التي تتصل بالبوذية مما يجب على البوذي سلوكه ، وكل هذه الخطب والوصايا تنسب لبوذا .

• ثالثها ، الكتاب الذي يحوى بيان أصل المذهب ، والفكرة التي نبع منها ، وبعبارة أدق فيه الفلسفة التي قامت عليها الديانة البوذية ، والأصل الذي استنبطت منه تعاليمها ، وفيه بحوث تدور حول الخير والشر ، واللذة والألم وفي الجملة نرى في كتب البوذية كلاما خصبا فيما فيه بيان للأخلاق والسلوك القويم ، وقد ترجمت إلى اللغات الحية وكانت مادة لدراسات فلسفية خلقية .

الكوشوشوسية

١ - مكثت العقاية الصينية والفكر الصيني القديم كنزا مدفونا في أحقاب التاريخ لا يعرف الغربيون ، ومن داناها شيئا منه ، حتى نخيل إليهم أن تلك الأمة القديمة ليست لها فلسفة ولا لون خاص من ألوان الفكر الإنساني ، ولا منهج خاص من مناهج السلوك لبوغ الغاية السامية في طريق الخير ، وما كان ذلك الحفاء إلا لصعوبة الوصول إلى تعرف ماضي تلك الأمة ، فاللغة الصينية عسيرة ليس من السهل معرفتها ، والترجم عنها ليست كاملة الصحة ، ولا تامة التصوير لمعاني ما اشتملت عليه بسبب تلك الصعوبة. ولكن تلك الغشاوة لم تلبث أن أزيلت ، وكشفت الإرادة الإنسانية ودأب العلماء ، وحرصهم على طلب المعرفة ولو بالصين - عن الفلسفة الصينية والعقل الصيني ، والنفس الصينية ، واقد استبان ما كشفوا عنه أن أخص ما امتازت به النفس الصينية ، أنها أقدر النفوس على تحويل النظريات الخلقية إلى أخلاق عملية ، ففاسفتها تقوم على السلوك القويم للإنسان ، وهي عملية في هذا المعنى أكثر منها نظرية ، فحكم الحكماء ووصاياهم ، ونظرياتهم الفلسفية هي أعمال الشعب في سلوكه ومناهجه .

وإذا كان العالم قد رأى الآراء الدينية على أكل وجوهها في الساميين والتصوف على أكل مناجيه في الهند ، والفلسفة النظرية في الإغريق ، فالفلسفة العملية على أكل وجوهها في الصين . الفلسفة عندهم تنحون نحو

الاخلاق وهي تتبدى بنظريات للأخلاق الفاضلة . وأسس لقواعد الخير والشر ، ولا تلبث حتى تبسط وتسهل وتصير أخلاقاً عامة للشعب ، فالجانب العملي له العناية الأولى لديهم ، ولهذا بلغت الاخلاق عند الصينيين درجة من السمو أدهشت العلماء عند ما تعرفوها ، وعلوها ، ولقد شده المبشرون عندما علوا ما عند الصينيين من حكم موروثه ، ووصايا ، وآراء خافية سامية ، ولذا قرروا أن الصليين لا بد أن قد بعث بهم رسل ، ولقد أخذوا لهذا يوازنون بين التوراة والكتب الصينية في الاخلاق والحكم والوصايا .

وتمهما يكن أمر الدافع الذي يدفع هؤلاء المسيحيين إلى هذا الظن ، فليس عندنا نحن المسلمين من مانع يمنع من قبوله . بل إنما أقرب إلى اعتقاده ، لأن الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم العليم ، الرؤوف الرحيم ، لا يترك أولئك الجماعات الكبيرة من البشر من غير هاد يهديهم ، ولا رسول مبين يدعوهم بدعاية الله سبحانه وتعالى ، وإن كنا لانعرف رسولا من هؤلاء الرسل ، ولا عصر الرسول ، وليس جهلنا هذا نافياً للوقوع ولا دليلاً على عدم الحصول ، لأن عدم المعرفة لا يستلزم عدم الوقوع .

ولم يبين القرآن الكريم كل الرسل السابقين ، فقد قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قضضنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، ولذلك نحن لانستطيع أن نقف موقف السلب من دعوى المسيحيين أن رسلاً بعثوا في الصين ، ولكن ايس لدينا خبر يقيني برسول معين بعث فيهم ، ودعوى ذلك لاتخلو من الحدس والتخمين . » وإن الظن لا يقيني من الحق شيئاً .

(٢) هذا . والذي نلاحظه على الفلسفة الصينية أنها انصلت بالدين وامتزجت به امتزاجاً تاماً ، وفي الحق أن التأملات الفلسفية ، والتدين

منبعهما من النفس واحد يذهبان من مكان في الوجدان واحد ، غير أن أحدهما يعتمد على العقل المطلق والآخر يعتمد على النقل في أغاب نواحيه ، وخير القضايا الفلسفية ما كان موافقا للدين الحق ، لأن الدين الحق لا يأتي بشيء يتناقى مع العقل القويم .

وقد تغالبت الفلسفة والدين عند اليونان الأقدمين لانحراف أحدهما وعدم استقامته ، وكذلك اصطدمت الفاسفة والدين في القرون الوسطى في أوروبا لهذا الانحراف أيضاً ، واضيق في صدور القوانين على الدين ، وقد يحدث أن تنحرف الفلسفة ، ولا تقيّد بقواعد العقل ، فتصير أوهاماً وأحلاماً وتخيلات لانظرات صارت تأملات ، وعندئذ تنحرف عن سمتها فلا يداينها الدين الحق ، بل يكون بينهما ما يكون بين النقيض والنقيض .

بيد أن الفلسفة في الصين لم تتجاف عن الدين ، ولم تتأعنه مع أنك ستعلم أن الدين كان قائماً على الإشراف ، والفلسفة قائمة على الأخلاق القويمة ، ومع ذلك تلاقيا وساز التدين مع الفلسفة سيرا متزناً محكماً ، وذلك لما بيناه من أن الفلسفة الصيدية قامت على تنظيم السلوك الإنساني ، وإصلاح الأخلاق العمالية ، وهنا التقت بدينهم من ناحية ما يدعو إليه من حسن المعاملة بين الناس ، فاتخذوا الاخلاق الناضجة مذهباً في السلوك القويم ، وديننا يدعو إليه الآلهة في زعمهم ، فكان للأخلاق دعائمان قويتان :

إحدهما قائمة على الفاسفة والعقل والمنطق .

وثانيتها قامت على دينهم .

وبهذا تقاربت فلسفتهم ودينهم على إقامة بديان قوى من الأخلاق ، وسلوك الناس ، وإن كان دينهم في عقائده وأسمه ليس شيئاً مذكوراً ، ولا يمت إلى الحق والمنطق بسبب ، ولا يتصل به بسبب .

ولقد كان المزج المحكم بين فلسفة خلقية قديمة ودين ليس له أصل قويم
ومنطق مستقيم على أتم وضوح في الكونفوشيوسية وصاحبها
كونفوشيوس .

٣ - حياة كونفوشيوس : الاسم المشهور به في الصين ، كونغ فوتس ،
ومعنى فوتس الحكيم أو الأستاذ ، وكونغ هو الاسم . فعنى التركيب الأستاذ
أو الحكيم كونغ : وقد حُرف الغربيون التركيب إلى كونفوشيوس ، ولد
ذلك الحكيم عام ٥٥١ قبل الميلاد بإحدى قرى مقاطعة لو من مقاطعات
الصين وكانت أسرته عظيمة تمت في نسبها إلى فرع ملكي ، فكان يجرى في
عروقه دم ملكي يشعره بالعزة ؛ ولقد كان أبوه قائداً عظيماً وحاكماً لإحدى
المدن ، ولم يعقب في شرخ شبابه ولا في كهولته ، وقد وهب الله له ذلك
الابن الحكيم على الكبر ، وقد نيف على السبعين ، ولكن الطفل لم يكد
يبلغ الثالثة من عمره حتى فقد أباه ، ولم يترك له من حطام الدنيا شيئاً ،
غير أنه عاش على سعة أسرته ، فعاش وإن كان مقدور الرزق ، محدود
المورد ، وتعلم العلم الذي كان يتعلمه من هو في مثل مولده وأسرته ، فتعلم
آراء الأقدمين الدينية ، وتفهمها وأخذ بها ، وكان لها سلطان تام
على نفسه .

ولننظر نظرة عاجلة إلى التهيئة التي حظت بها العناية ذلك الشاب ، دم
نبيل يسرى في عروقه ، وأسرة سامية ذات شهرة ومجد ، وفقير شديد كان
معه مقترأ عليه في الرزق . وإن تلك العوامل مجتمعة من شأنها أن تكون
في الشخص نزوعاً إلى معالي الأمور من غير استعلاء ، وذلك إذا صادفها
مواهب عالية ؛ ونفس سامية . فإن شعور المرء بمجد أسرته ، وكرم
محتده ، وشرف نجاهه من شأنه أن يجعل في امرء انجهاً إلى معالي الأمور ،
وتجافياً عن سفاسفها ، وإن الحد من الرزق يخلق في نفس الشخص العطوف

الرفق بالضعفاء ، والتواضع ، ومحبة الناس . ومن ذلك المعنى الأثر
الصحيح : « اللهم أحبني مسكيناً ، وأمتي مسكيناً ، واحشرفني في زمرة
المساكين . »

فذلك الحكيم الذي نهيأ له أن يكون من أسرة كريمة ، ويشأ فقيراً ،
قد اجتمع لديه هذان الأمران ، وبامتزاجهما تعلو النفس عن الدنايا من غير
كبرياء ، وتواضع من غير ضعة ، تتسامى من غير وزم في الأنف ، وتتطامن
من غير استخذاء . فتكبر من غير استكبار ، وتواضع للضعفاء من
غير صفار .

تعلم ذلك الحكيم في صغره مامكنه من أن ينظر إلى الحياة نظرة المستقل ،
وأن يدرس طبائع الناس وخير ما يطب به لأدوائهم ، وتكون فيه سلامتهم
وإصلاحهم . ولقد تزوج في مقتبل عمره ، فقد تزوج قبل أن يبلغ العشرين
من حياته . ولكنه لم يجد في زوجه رقيقة تصاحبه في لأواء الحياة ، وشريكة
له تشركه في سراته وضراته ، ففارقها بعد سنين معدودة ، ولكن بعد أن
أعقب منها صبياً وجارية صاراً له قرّة عين .

وقد أحس كونفوشيوس بجنين منذ بلغ أشده ، واكتملت نفسه إلى
إرشاد الناس إلى خير مناهج الحياة ، وأقوم السلوك ، ولذا كان أشد ما يرغب
فيه أن يتولى صناعة التدريس . ولكن لم يتوافر له ذلك في أول قيامه
بالأعمال العامة ، فقد عين في بعض الأعمال الإدارية المتعلقة بالزراعة ، وقيل
ذلك العمل على مضض وشوق إلى غيره ، وذلك لضيق ذات يده وحاجته
إلى ما يقيم أوده وأود أسرته ، وقد اعتكف مع ذلك على أمرته يعلم آحادها
ومن ينضم إليهم ، وصار منزله منتدى طلاب العلم ومقصده . ولقد عين
بعد ذلك أستاذاً ، وعندئذ أخذ مذهبه يتكون وآراؤه تتجمع ويديها لا في

كُتب يؤلفها ، ولكن في شبيبة يلثمها فأخذ يبت تعاليمه فيها ، حتى كان له
 منهم صحب يشبهون حوارى النيين في التمسك بفكرته ، والصدور عن
 دعوته ، والإخلاص لنحلته ، وهو في هذه الأثناء لا يني عن تكلمه
 بكل أنواع المعرفة ، فهو يعلم ويتعلم . ولذلك أعمل الجهد في الاتصال
 بفيلسوف كان في شيوخه وكوفوشوس في شبابه ذلك الفيلسوف هو
 لوتس (١) فالتقي به وتعرف إليه ، ودارسه آراءه فلم يتفق الفيلسوف الشيخ
 مع الشاب ، وسلبين في الفصول الآتية أوجه الخلاف بين الحكيمين .

ولقد أخذ كوفوشوس يطوف في الآفاق دارساً مرشداً ، رائضاً لنفسه
 وحناناً أصحابه على الأخلاق القويمة ، حتى لقد استطاع أن يقول عن نفسه
 التي أشرف على تهذيبها وتكميلها ، ما حكى عنه أنه قال في كتاب المحاورات:
 « انصرفت إلى طلب العلم ، وأنا في الخامسة عشرة من سني ، وفي الثلاثين
 التزمت جادة الفضيلة ، وفي الأربعين لم يكن في نفسي أي ريب في حقائق
 الأشياء ، وعلمت القضاء والقدر وأنا في الخمسين ، وأصغت أذني إلى كل
 الحق عارفاً فاهماً له وأنا في الستين ، ولم أتجاوز حدود السلوك القويم وأنا
 في السبعين » .

هـ - أخذ كوفوشوس يطوف البلاد داعياً مرشداً ، ومسترشداً ،
 وكان في كثير من الأحيان يخصص بإرشاده الحكام ، معتقداً أن صلاح الراعي

(١) هو صاحب النحلة الصينية التي تعرف في الصين « بالطاوية » . ولد لوتس قبل
 كوفوشوس بأكثر من خمسين سنة وقد تولى بعض الأعمال ولكنه اعتزل في آخر حياته ،
 وعكس على حياة الزهد ، والتأمل القلبي ، وقد جمت أحاديثه وآراؤه في كتاب يسمى « كتاب
 الأخلاق » وبين فلسفته الحقة وفلسفة كوفوشوس خلاف قوى ، فالأول يدعو إلى القناعة والزهد
 والتسامح المطلق ، ومطابقة الحسنه بالسئنه ، والثاني يدعو إلى طريق لا إفراط فيه ولا تمريط
 ومطابقة السئنه بسئنه مثلها ، وسيتبين ذلك كله في أثناء بحثنا .

يستلزم صلاح الرعية ، وأن حسن قوامته على الناس يتبعه صلاحهم ، ولأنه يرى أن السياسة الحكيمة في تهذيب الرعية . حتى تقوم المحبة بين الناس مقام القانون . ولقد كان يقول ، السياسة هي الإصلاح ، فإن جعلت صلاح نفسك أسوة حسنة لرعيك ، فمن الذي يجترئ على الفساد ؟ ، لهذا كان يخص - وهو بطوف مقاطعات الصين - الأمراء يارشاده لأن في صلاحهم صلاح العامة ، وعليهم يواسي .

وقد عاد بعد تطوافه إلى ولايته ، وقد كملت رجولته ، وأنفج الاختبار آرامه ، وصقل تفكيره ، فعين حاكما لإحدى مدنها ، فكانت هذه فرصة قد انتهزها ليروض الناس على تعاليمه عملا كما راض هو نفسه ، فأخذ أهل هذه المدينة بالسلوك القويم ، وكانت عبقريته في أن راض الناس على ذلك رغبا لا رهبا ، وبالاختيار لا بالاجبار ، حتى صارت تلك المدينة الفاضلة نموذجا يحاكي ، ومثالا يحتذى ، ولم يستمر حكم ذلك الحكيم مقصورا على المدينة ، بل رفعه أمير المداطرة إلى مرتبة نائب الحاكم للمداطرة ، ثم ولاة وزارة العدل ، فكان شأنه في هذا كشأنه الأول يروض مرءوسيه على الاخلاق ، ويعطيهم من نفسه أسوة حسنة ، فيقتدون به ، واستعان في أعماله ببعض أصدقائه الذين أشربوا تعاليمه ، ومازجت نفوسهم نفسه ، وفي حكمه ساد السلام ، واطمان الناس ، وأظلت الفضيلة الجميع ، وكان هذا مثلا صالحا لحكم الفلاسفة ؛ سبق أحلام أفلاطون وغيره من المثاليين .

٦ - ولكن تلك الحمار لم تدم طويلا ، فإن رجالا نفسوا على الحكيم تلك المنزلة ، وصاقت صدورهم حرجا من عظيم ما طويت عليه من الحقد ، فزينوا لأمير المدينة أن يخالف إرشاد الفيلسوف ، وقدموا له غصنا من الشجرة التي أغرى إبليس آدم على الأكل منها ، قدموا له اللذة الشهي ، وحسنوا له أن يفك نفسه من القيود ، ويقبل عليها ، ففعل وعصى إرشاد

كونفوشيوس فرأى هذا أن أمور الدولة لا تستقيم ، وأميرها غير مستقيم ،
لأنه القائل : « إن أخلاق الرؤساء كالريح ، وأخلاق المرموسين كالعشب ،
ولم أية جهة هبت الريح مال العشب » .

عندئذ هدّد الحكيم الأمير بترك الأمر إن لم يستقم ، فلم يرعو هذا
عن غبه ، واستمر سادراً في شهوته ، فاعتزل الحكيم ، وعاد إلى التطواف
في الأقاليم الصيدية ، لا يقيم في بلد إلا على نية النزوح منه ، وكلما حل على
أمير مقاطعة دعاه إلى السلوك الفاضل ، فلم يجب أحد منهم دعاه ، وإن
أكرم وفادته ، حتى برم بهم ، ولم يكن له عزاء إلا تكاثر تلاميذه الذين
اعتنقوا آراءه حتى بلغوا ثلاثة آلاف أو يزيدون ، وكانهم قد أشرب
روحه ، ومازجت آراؤه نفسه ، وخالطت منها المهجة والفؤاد .

وقد عاد بعد الرحلة الطويلة إلى مقاطعته « لو » ، فأكرم أميرها وفادته ،
وإذ كنه لم يطعه كسائر الأمراء ، فعكف الحكيم على مدارسة أصدقائه .
وكانت السن قد تقدمت ، فقد ذرف على السبعين وقد اطرح هموم الدنيا ،
ولكن نزل به وهز في تلك السن المتقدمة ما حز في قلبه وقطع نياطه ، فقد
مات اثنان ، كلاهما مهجة نفسه ، وقصة منه ، أما أولها فوجيده ، فقد أمضت
نفسه بمرته ؛ وهو في هذه السن ، وأما ثانيهما فهو تلميذه الأثير عنده المحبب
لديه ، وقد كان قطعة من روحه ونفسه ، واسمه « هووى » (١) ، فأظلمت
الدنيا في وجهه ، ولكنه لم يقعد عن العمل ، بل أخذ يلخص الكتب

(١) كان هذا تلميذه الفذ ، حتى أنه روى أنه عند ما احتضر بكى عليه الحكيم بكاءً مراً ،
وقد كان يقول فيه في أثناء دراسته معه : لقد حدثت « هووى » ماول النهار فلم ينقش
كأنه غيب ، فلما تولى ولاحظت سلوكه وجدته كافياً للتصير عما دارسته .

القديمية ويرتباها ، وبذلك قد خاد لنفسه عملا آخر جليلا بهذا التاخيص
وذلك الترتيب .

هذا موجز لحياة فيلسوف الصين العظيم ؛ وقد مات بعد أن ترك من
تلاميذه الذين أخذوا على عاتقهم بث دعوته في الأقاليم الصينية ثلاثة
آلاف ، وقد نبغ منهم اثنان وسبعون ، وكلهم تعارن في نشر مذهبه الخلقى
في البلاد ، حتى صار بعد ذلك مذهباً رسمياً لتلك البلاد المترامية
الأطراف ، واستمر كذلك من آخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن
العشرين بعده .

٧ - عقيدة كونفوشيوس :

تخرج كونفوشيوس على التعاليم الدينية التي كانت سائدة عند الصينيين
الأقدمين ، فقد لقنها صغيراً وتلقاها والعود أخضر بالقبول . ولذا أحيا
التعاليم الدينية القديمة ، ودون أصولها ولم يتعرض في دراسته الخاصة
لمناقشتها ، ولم يكن له مذهب فيها يدعو إليه ، ويحث الناس على اعتناقه ،
بل كل عنايته كانت تقوم على السلوك المستقيم والدعوة إليه ، ولم
يكن مدعياً لرسالة ، ولم يكن هورسولا مبعوثاً . بل كان حكماً فيلسوفاً يبشر
بمذهب في الأخلاق ويستمسك أشد الاستمسك به ، وأما عقيدته فهى ما كان
يعتقده الصينيون القدماء ولا تزال آثاره في عقيدة أكثر الصينيين المعاصرين .
وأساس هذه العقيدة أنهم يعبدون ثلاثة أشياء : السماء والأرواح المسيطرة
على ظواهر الأشياء (الملائكة) وأرواح الآباء .

٨ - أما السماء المعبودة فلا يقصدون بها تلك القبة الزرقاء ، بل يقصدون
تلك الأفلاك ومداراتها والقوى المسيطرة التي تسيطر عليها وتسيرها في

مداراتها ، وبتواصلها بالأرض ، وبالأمطار والرياح وغير ذلك تثبت الأرض من كل زوج بهيج ، وكانت عبادتهم للسماء لأنهم يعتقدون أنها عالم حي متحرك حسب نظام دقيق محكم ، وأن كل مافي العالم من قوى مسيرة إنما هو خاضع لسطان السماء .

وظواهر ما تدل عليه عبارات كتبهم أنهم لا يفرضون قوة مغايرة للعالم هي المثلثة له والمدبرة لأهوره والمسيرة له والمسيطرة على حركاته والواقية له من الفناء والانحيار ، ولأجل أن يستقيم لهم فرضهم بعض الاستقامة - وإن كان الأساس غير مستقيم - يقولون إن العالم فيه جانب مادي وجانب روحي هو القوى ، ومن القوى منفردة أو بائتلاف عدة قوى تحدث ظواهر الأشياء ويتم التحول المستمر الذي يقدرونه قانوناً عاماً شاملاً والسماء لها السيطرة العليا على القوى والمادة والأشياء جميعها . وعلى أية حال فليس عندهم منشاء ومثلاً ، بل المنشاء لديهم من ذات المنشأ ، كما كان يسود الفلسفة الأيونية التي كان قوامها العنصر الأول الذي تكونت منه الأشياء .

ومع ذلك هم يؤمنون بالقضاء والقدر ، فيقولون إن كل الحوادث مقدره في السماء معروفة ، وقد اختص بعبادة السماء وتقديم القرابين لها ملكهم الأكبر ، ولذا يقال عنه إنه ابن السماء ، وقد حالت العقيدة وصار كل ملك أو أمير لمقاطعة له حق عبادة السماء كالمملك الأكبر .

ومن عقائدهم المتعلقة بذلك أن الملك واجب عليه بأمر السماء أن يحكم الرعية بالعدل فإن قسا وظلم سلطت عليه السماء من رعيته من يخلعه أو يقتله ثم مكنت لغيره من العادلين من يستولى على عرشه . ويحكى أن ملكاً استولى على العرش بعد أن انتصر على الملك الذي قبله وقتله ، قال : « أعطى الإله

لكل إنسان ضميراً إذا اتبعه يحفظه ويقوده إلى الطريق السوي ، والإله دائماً يبارك الطيب ويعاقب الردي . ولذلك أنزل المصائب على بيت هثيا ، بيت الملك السابق ، كي يضع حداً لآلامه .

٩ - أما عبادتهم القوي المسيطرة على الأشياء ، الموكّبة بها ، فلا هم كانوا يعتقدون أن لكل شيء قوة تسيطر عليه وتسيره ، وهي كثيرة : فلشمس قوة تسيرها ، وكذلك القمر ، والسحاب ، والمطر ، والجبال والأنهار ، وكل الكواكب ، والأشياء ، وهذه القوي جميعها يعبدها الصينيون ، وقوي الأرض لا يعبدها الملوك ، ولكن يعبدها غيرهم . أما القوي الخاصة بكواكب السماء ، وكل ما يكون فيها ، فهي من السماء لا يعبدها إلا الملوك .

ومن عقائد الصينيين أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم ، وتبقى في الدنيا مع أسرهم . ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديساً لهم ، ووفاء لعمودهم ، وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم ، ويقدمون لهم القرابين .

وعبادات الصينيين غناء ورقص وموسيقى ، وكانهم بهذه الأعمال يشركون آلهتهم معهم في سرورهم ، وأفراحهم ، وأغانيتهم وموسيقاهم .

١٠ - ولم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار ، ولا عقاب ولا ثواب ، ولقد أخذ كونفرشيوس بكل هذه العقائد ولم يزد عليها ، فلم يؤمن باليوم الآخر ، ولم يفكر في الحياة بعد الموت ، بل كان كل همه في إصلاح الحياة الدنيا .

يروى أن أحد تلاميذه سأل عن مآل الأرواح بعد الممات ، فقال :

و لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة السموات
و لم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات .

وكان يقدم القرابين ، ويقوم بواجب العبادة التي يقدم بها كل صيني
بل كان في الناحية الدبيلة ساذجا يتشامم من هزيم الرعد ، ويرتجف ، وترتعد
فرائصه عندما يسمعه ، ويقرأ التعاريف لطرد الأرواح الشريرة من بيته .
وفي الجملة كانت عقيدته ساذجة . وعقله في هذه الناحية كان عشا للخرافات
والأوهام ، وفيه موضع لاساطير الأولين التي اكتتبها ، وحفظها ، ولكن
عبقريته وقوة إرادته باديتان في آرائه في السلوك الإنساني ، والخلق القويم ،
ورياضة النفس عليه .

١١ - آراؤه في الأخلاق : يجدر بنا قبل أن نتكلم على مذهب
كونفوشيوس في الأخلاق أن نبين الظاهرة العامة في أخلاق الصينيين عامة
والأخلاق التي سادت عصره ، والآراء الخلقية التي كانت سائدة قبيل
زمانه ؛ لكي نكون على بينة من مدى أقواله ، وما دفع إليها ، وما بعثه
على قولها ، وخصوصا أنه ما ادعى أنه أتى بجديد في السلوك القديم ، ولكنه
أحبا المقبور من آراء سابقه ، وأخذوا أنفسهم به من أخلاق .

اعتقد الصيبيون منذ أقدم عصورهم أن الأحداث الكونية تتبع
الأخلاق التي تسود الناس وملوكهم ، فكلما كان الاعتدال والانسجام
والفضائل يسودان المعاملة بين الناس ، ويربطان العلاقات بينهم برباط من النودة
والرحمة ، فالكون سائر في فلكه من غير أى اضطراب ، ولكن إذا حاد
الإنسان عن سمت الحق ، والسلوك القويم إلى الفضيلة ، اضطرب بعض
ما في الكون لمخالفة القانون الأخلاقي ؛ وما الزلازل وخسف الأرض
وكسوف الشمس ، وخسوف القمر إلا أمارات لفساد خلق ، أحدث ذلك

الاضطراب الكوني، وإذا كان السلوك غير القويم يحدث الاضطراب،
والقحط، فالسلوك القويم يجلب الخير والبركات، ويجعل كل مافي الكون
يحىء على رغبة الإنسان، والسبب في ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن المؤثرات
في الأكوان ترجع إلى ثلاثة :

أولها السماء ولها السلطان الأعلى، وثانيها الأرض لقبولها أحكام
السماء، وثالثها الإنسان بما يؤثره بإرادته، فأرادته الفضيلة وسلوكه سيئها
يجعل مظاهر الكون إلى خير الإنسان، فالجو يمتلئ بالسيم العليل،
والحرارة المتعشة والغيث المحيي لنبات الأرض من غير أن يخرج
العمران .

١٢ - والإنسان مفطور على الخير عندهم، سالك الطريق القويم لو
خلى وفطرته، ولكنه مع الفطرة الخيرية حتى مستقل مفكر لا يمنع فطرته
من النزوع إلى الشر وسلوك سيئله، والارتطام في حماته، وذلك لإرادته
المستقلة واختياره، واستيلاء الشهوات عليه ومع أنهم كانوا يؤمنون
بالقضاء والقدر ويدعون لأحكام السماء يجعلون للإرادة الإنسانية
الشأن الأول، وذلك لأن الإرادة الإنسانية للخير أو الشر لها أثرها في
الأكوان، ولأن آلهتهم عادلة فوعموا أنها لعدلها تجعل مشيئتها في الكون
على حسب عمل الإنسان إن خيراً فخير له، وإن شراً فشر له، وأن أفعال
السماء المسببة لفعل الإنسان لا تقبل التخلف قط، لأنها جزاء ما قدم،
وأما أفعال السماء التي تكون حظاً من غير تقدم الإنسان بسبب لها فهي
تقبل التخفيف بالإرادة الإنسانية الخيرة أو الشريرة؛ وفي هذه الحدود
الضيقة كان إيمانهم بالقضاء والقدر .

١٣ - وطريق الخير هو الاعتدال والاقتصاد في كل أفعال النفس
وسجاياها، فالنعاة مع الجد من غير استسلام فضيلة، واللين من غير

ضعف فضيلة ، والرحمة مع العدل مع المسىء فضيلة أيضاً ؛ وكذلك النجمل مع السذاجة وهكذا كل الفضائل ، وأقصى الطرفين من إفراط أو تفريط وذيلة ويعدون الفضيلة طريق السعادة والذيلة طريق الشقاء ؛ لأنه إذا كانت آلتهم تغضت وترسل شواظاً من نار على من يخالف قانون الأخلاق فالشقاء في المخالفة والسعادة في الموافقة ، ولأن الموافقة تجمل النفس متوافقة مع فطرتها سائرة ملسجمة مع طبيعتها .

والرحمة أخص ما يجب أن يسود الناس من صلوات ، فهي الرابطة التي تربط آحاد المجتمع بعضهم ببعض ، وهي التي تجعل الناس متحابين سعداء من غير عنف زاجر ، ولا قانون مشدد ، وإذا كانت الفضيلة في عمومها طريقاً لسعادة الآحاد ، فالرحمة التي تسود المجموع هي طريق سعادته ، فالمجتمع السعيد من كانت الرحمة هي الوحدة للرابطة بين آحاده ، وهي العلاقة الميمنة حدود ما للإنسان وما عليه ، وليست الرحمة عندهم هي العفو المطلق ، والتسامح المطاق ، بل الرحمة التي تسبب السعادة هي الرفق بالمجموع مع معاملة أهل السوء بما يستحقون من غير شطط ولا تفريط . وأما التسامح المطاق ، ولو مع المسىء ، فإنه رحمة ظاهرة تخفي في ثناياها سترا للإجرام ، وذلك ليس من الرحمة الحقيقية في شيء .

إذن فغاية الفضيلة في عمومها وخصوصها عندهم الكمال الإنساني ، والسعادة لبني الإنسان ، وإقامة بناء المجتمع على النور والراحم والتعاطف .

١٤ - وقوانين الأخلاق لا تنفصل عن السياسة عند قدماء الصيبيين ، فأقوم الأخلاق ينتج أقوم السياسة ، وأحب أنواع الحكم ، بل إن الحاكم لا يمكن أن يحمل الناس على الجادة من غير أن يحمل نفسه عليها ، وإن المالك الذي لا يسوس الناس ونفسه بالأخلاق القويمة ينزل عليه غضب

السماء ، وينزع منه الملك كما بينا سابقاً ، فلا تسامح في قانون الأخلاق ولو كان الآثم ملكاً ، وبهذا أستمر العدل قائماً مع وثنيهم وعدم تدينهم بدين سماوي .

ولم تكن هذه الآراء فلسفة لخواصهم تدرس ، وتناقش أصولها ، ولكنها كانت أعمالاً للناس ، كما هي آراء العلماء ، وبذلك كان مجتمع الصين القدماء يسوده الخناق الكامل ردحاً من الزمان ، ولكن خلف من بعدهم خلف لم يسلك طريق الأخلاق ، فحوالى القرن السابع قبل المسيح حكمت الصين أسرة ارتكبت من الظلم والإثم ما أوقع الشعب فى الفوضى والاضطراب ، وجعل حكام الولايات يسرون فى طريق من الاستبداد برباعهم لغير مصالحهم والشعب الصينى نفسه انحدر فى طريق الرذيلة والانحلال الخلقى ، وإذا تفاقم الشر ، وجمحت النفوس ، ونفشى الداء ، أعمل الفضلاء نجده ، وأحسوا بعظم التبعة ، لذلك نجم فى آخر القرن السابع والقرن السادس قبل الميلاد عقول جبارة ، ضاعفت الجهود وبذلت أقصى الجهود لكي ترجع الأخلاق الصينية إلى غايتها ، وكانت دعوتها وحيماً لعقريه جبارة ، واستتباطاً لما استقر فى أعماق القديم ، وإحياء للدفون من كرائم العادات . وكان أبرز هؤلاء لوتس وكونفوشيوس .

١٥ - ظهر كونفوشيوس فى هذا المضطرب بعد لوتس ، وبعد أن جرب هذا كل آرائه فى إصلاح المجتمع الصينى ، فلم يفلح إلا قليلاً ، واضطر لأن يدعو إلى الانزواء والفرار إلى العزلة لذلك جاء كونفوشيوس محاولاً إصلاح ذلك المجتمع بغير طريقة لوتس ، وبغير مذهبه . وآراؤه فى الأخلاق تتجه إلى ثلاث نواح : الأولى فى بيان الأصل الخلقى الذى تقوم عليه الفضائل ، والثانية إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم . والثالثة إصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة لا يبعدها .

أما الناحية الأولى فهي قوام فلسفته ؛ وهي الجزء النظري منها ، وقد
ابتدأ نظراته الفلسفية بنظرية تعيين المعنى واللفظ ، وتعيين الأسماء
والمسميات ، وهي النظرية التي ابتدأ بها أيضاً سقراط من بعد كونفوشيوس
وذلك لما تشابهت فيه أحوال العصرين اللذين عاش فيهما الفيلسوفان :
فكونفوشيوس جاء في وسط اضطراب خلق ، وتلاعب في نظم الحكم ،
وعبت بمصالح الدولة ، واللعب بالألفاظ لتوهين الأخلاق ، فكان لا بد من
العمل على تعيين المعاني الدالة على الألفاظ ليثبت المعنى مستقيماً ، لكي لا يمكن
التلاعب به ، وإفساد الاستدلال من طريق ذلك التلاعب ، وكذلك سقراط
وجد السوفسطائيين قد اتخذوا من اللعب بالألفاظ طريقاً لحل أخلاق
الشباب الأثيني وإفساد اعتقاده ، والعبث بكل ما هو فاضل لديه ، ولذا كان
أول ما دعا إليه سقراط تعيين المعاني الدالة عليها الألفاظ حتى لا يتخذ
المفسدون من طريق اللفظ ما يفسد الاستدلال والتفكير .

دعا كونفوشيوس إلى العناية بمعاني الأسماء ، والألفاظ الدالة على
المسميات ، وألحف في تلك الدعوة ليقطع على المضللين سبيل التضليل ، ويفتح
الباب ليستقيم طريق المعرفة من غير تمويه ولذا جاء في كتاب الحوار الكونفوشيوس
أن أحد تلاميذه سأله «بأى شيء يبتدىء سياسته إن تولى حكم الإمارة؟» فقال :
«لا بد من تصحيح الأسماء ، فدهش التلميذ من هذا الجواب . ووقع من
نفسه موضع العجب . فقال كونفوشيوس : «إذا لم تكن الأسماء صحيحة
لا يوافق الكلام حقائق الأشياء ، وإذا لم يكن الكلام موافقاً للحقائق
وقع الخلط في اللغة وفسدت الأمور فلا تزهو الآداب ولا الموسيقى ،
ويضطرب التفكير ؛ ولا تنزل العقوبات على من يستحقها ، وإذا لم تنزل
العقوبات على من يستحقها ، لا تعرف الرعية كيف يجر كون أيديهم وأرجلهم
ولذلك يرى الرجل الكامل أن من الضروري أن توافق الأسماء مسمياتها

لهمكن أن يتكلم بها . وأن يعمل بما يتكلم ، والرجل الكامل الخاق لا يستين بكلامه ، ولا يهمل في تعبيره . .

وعنايته بتعيين الألفاظ جزء من عنايته بأن يكون الشخص الكامل على تمام المعرفة بنفسه وبحقائق الأشياء ، فهو يبحث على المعرفة الصحيحة ، ويعتبرها جزءا غير قابل للإفصام من مناجه الخلق فيعتبر من كمال الفضيلة للرجل حسن إدراكه للأمور ، وقدرته على فهم ما يلقي بين يديه من المسائل من غير أن يدفعه الغرور إلى الضلال . ثم هو يدعو إلى التفكير القويم في كل ما يلقاه الانسان ويرى شرطا لازما للتفكير أن تكون عند الشخص قبل التسدير مقدمات كافية لأن يفكر ، والتفكير لا بد منه لكل معرفة ، ولذا بقول « من تعلم من غير تفكر وتدبر فهو في حيرة ، ومن فكر من غير تعلم فهو على خطر الضلال » ويرى أن طريق العلم ألا يقيس الغائب على الشاهد لأنه تخمين ، ولا يجرى الحدس والتخمين فيما لا يعلم . لأن الظن لا يعنى من الحق شيئا ، ولذلك يقول لأحد تلاميذه : « ألا أعلمك طريق العلم ؟ اعتبر ما علمت معلوما . واعتبر ما جهلت مجهولا ، هذا هو طريق العلم . . ولا تظن أنه يقصر الفضيلة على المعرفة بل أنه يرى أن المعرفة من طريق الفضيلة ، وليست هي الفضيلة ، كما يقول سقراط . بل هو يقول : « من يعلم الحق دون من يولع بطلبه ، ومن يولع بطلبه دون من يطمئن إليه دائما ، فالمراتب عنده ثلاث :

(١) معرفة للحق مجردة (٢) وشوق إلى الحق ومحبة له (٣) وعمل به وارتياح النفس إلى العمل به ، مهما يكتنفها في العمل به من صعاب وشدائد ثم يقسم الناس بالنسبة للمعرفة إلى أربع درجات : الدرجة الأولى درجة رجل وهبته السماء المعرفة ، وأوق الإلهام ، وهي أعلى الدرجات ، والثانية درجة رجل لم يؤت إلهاما ولكن فيه ذكاء . فتعلم ووصل إلى أقصى ما يتعلمه

من لم يؤت إلهاما . والدرجة الثالثة درجة الرجل الذي لم يؤت ذكاء ، بل فيه غباء ، ويطلب المعرفة ، وينال منها بمقدار طاقته ، والدرجة الدنيا وهي الدرك الأسفل . رجل حائر باثر فيه غباء وبلادة فلم يعرف ولم يحاول معرفة .

١٦ - وإن معرفة الإنسان لا يمكنها أن تصل إلى الغايات من الأشياء بل أقصى ما يمكن أن تصل إليه هو معرفة ما يمكن أن تعرفه ، وهو النواميس والقوانين التي تسيّر الأكوان على مقتضاها ، فإن العالم في نظره محكوم بقوانين لا تقبل التخلف ، قوامها التآلف والانسجام بين أجزائه ، فالسما والارض والإنسان قد ارتبط ثلاثها بنظام محكم بقوانين مؤلفة بينها ، وأن ذلك النظام قد يمكن أن يعرفه الإنسان ، ولا يمكن أن يعرف علته الغائية ، ولا مبعثه ، ودوافعه ، وإن الشر كل الشر أن يكون في تصرفات الإنسان ما يجيد به عن النظام المؤتلف بين الإنسان والاكوان ، وذلك بأن يرتكب من الشر ما يكون سبباً في أن تنزل السماء عذاباً ، ولذلك يقول في الحوار :
لو ارتكبت ما لا يابق غضبت على السماء . .

ولذلك كان تحلى الإنسان بالفضيلة ، هو الذى يجعله مؤتلفاً مع نظام السموات والارض ، ولأن العالم يسير بنظام وقوانين محكمة ، كانت طبيعة الإنسان وفطرته إلى الخير لكي يكون النظام هو السائد ، ولذلك يقول كونفوشيوس كما كان يعتقد من سبقه من حكماء الصين وفلاسفته إن النزوع إلى الخير والفضيلة طبعى فطرى فى الإنسان ، فليست الفطرة الإنسانية ميالة إلى الشر نزاعة إليه ، بل لأنها خيرة ، ولكن للإرادة المستقلة التي منحها الإنسان ، وللشهووات واللذات التي يمكن استحوادها عليه بشذ عن داعى الفطرة ونداء الطبيعة وينتجه إلى الشر ، ويفعل ما ينزل به غضب السماء في زعمهم ، ففى النفس بنابيع صافية المورد للخير ، وفيها استعداد للشر

إن عرض لها عارض الذات والشهوات ، فالأصل للنفس الخير والشر عارض ، وإذا كانت النفس في أصل فطرتها الخير ، والشر انحراف عن الفطرة ، فالحكيم إذن من عمل على إحياء الفضيلة بتنمية قوى النفس الحيرة وتصفية يتابعها من كدورة اللذة ، واعتكار الشهوات ، فإن النفس كصفحة الماء الصافية المستوية والذات كالأحجار تقذف فيها ، فتحدث فيها اضطراباً ، وتثير فيها اعتكاراً .

١٧ - وإذا كانت الفضيلة من دواعي الفطرة السليمة فطلبها من كمال الإنسانية ، إذ رغبة الخير فطرية . وعلى ذلك يطلب الإنسان الفضيلة لأرجاء منفعة ، ولا دفعا لمضرة ، ودون جلبا للذة ، ولا دفعا لحرمان ، ولكن يطلبها لأنها كمال إنساني ، فهو يقول في الفصل الرابع من كتاب الحوار (١) ، الرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة ، والرجل الناقص الخلق يطلب اللذة ، والرجل الكامل الخلق يفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب ، والرجل الناقص يفكر في كسب المنافع ... والرجل الكامل الخلق واقف على البر ، والرجل الناقص الخلق واقف على الربح .

فالفضيلة عنده لا تطلب لما فيها من لذات ، ولكن تطلب لأنها كمال الإنسان ولأنها الفطرة السليمة ، والطريقة التي بها يتم التألف والانسجام بين الإنسان والعالم وإذا تمسك الشخص بالفضيلة وابتعد عن الانحراف عن

(١) يوازن العلماء بين رأى كانت الالمانى و العصر الحديث ، ورأى كوفوشيووس الصينى الذى عاش قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون فيجدون توافقا بين رأى الحكيم فى الأخلاق ، فكانت يقرر أن ينوع الخير و الإنسان بملضى الفطرة ، لأن الإنسان مجرد فى نفسه لأنما أن فعل مالا بايق ولا يرتكب جريمة شاعرا بها إلا على نية إلا يباودها ، والشعور القوى الذى يكون فى نفس كل انسان بان تجنب السلوك الذى لو سلكه كل الناس فسد المجتمع

سبيلها ، ونجنب الخضوع للبلاد ، سهّل عليه كل صعب ، وهان عليه كل شاق ، وإن رياضة النفس على الفضيلة ، تجعل الشخص يحتمل الفقر والغنى فإن افتقر لم يهن ، وإن غنى لم يطغ ولم يأثر ، ولذا يقول في كتاب الحوار « الرجل غير الفاضل لا يستطيع أن يبقى في الفاقة أو الثروة طويلا ، أما ذو الفضيلة فهو مستريح في فضيلته ، حريص عليها ، .

وإن كانت الفضيلة لا تطلب إلا لأنها السنة ، والاسجام ، وتزكية النفس الإنسانية ، فمن ثمراتها الراحة ، والاستهانة بالآلام ولذا يقول : « ذو الفضيلة يستبشر بالماء الجاري ، وذو الفضيلة يستبشر بالجبل الراسي ، وذو الفضيلة نشيط ، ورزين ، ومعمّر ، فالفضيلة عنده روضة فيها الراح والريحان ، والسر والاطمئنان أما ذو الرذيلة فهو في شقاء وبلبال مستمر ، وينزل عليه غضب السماء جزاء ما قدمت يدها واقترفت نفسه ، ولذا يقول : « يولد الانسان مستقيما فن فقد الاستقامة واستمر حيا ، فتجانه من الموت من حسن حظه ، .

١٨ - ولكن الفطرة قد يفالطها الإنسان ، فيزعم أنه سائر على مقتضاها مؤد للواجب سالك سبيله ، وهو يجرع من اللذات والشهوات فكيف يأمن الشخص هذا العثار؟ وكيف يطمئن إلى أن ما يسلكه هو موجب الفطرة ، وهو الفضيلة؟ قد عالج كرفوشوس هذه الحال ويفهم من حوارهم مع تلامذته ومن مجموع آثاره أنه يوجب على الشخص أن يراقب نفسه ويلاحظ البواعث التي تبعثه على الأعمال ، فإن كانت هي المنفعة الشخصية أو اللذة فهو قد حاد عن السنة. وإن كان الدافع الإخلاص والحق في ذاته فهو الفطرة ، وهو السنة ، وهو الهراط المستقيم ، والسلوك القويم ، ولذلك هو يقول عند الحكم على الأشخاص أم إلى هدى أم إلى ضلال : « انظر إلى أعمال الناس ، ولاحظ بواعثها ، وراقب ما إليه يستريحون فأين يخفى الناس

سرايرهم ۱۱ أين يخفي الناس سرايرهم ۱۱، إذا كانت ملاحظة الدوافع سهلة على الشخص إذا كانت في غيره، فكيف يصعب عليه أن يلاحظ دوافعه؟ ثم هذه الملاحظة تدفع الفيلسوف الكبير إلى أن يدعو الشخص إلى التأمل النفسي، ومراقبة وجدانه، لتستيقظ نفسه اللوامة، وتحاسبه على ما يقدم عليه من عمل، ويكون من نفسه رقيب عليه شديد المراقبة، قوى الحس، صادق الحساب، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

ولقد قال أحد تلاميذه: «أراقب نفسي وأسألها كل يوم: هل خانت عندما تولت شؤون الناس؟ هل كذبت عندما عاملت؟ هل كانت غافلة عن العمل بما تلقته من العلوم؟».

بهذه المراقبة الشديدة يأمن الرجل أن يجيد عن الفطرة. وأحسنى ما يخشاه كونه نثويوس على الفطرة اللذات من أن تضمر نورها وهداها، ولذا كان يحث على الخشونة في العيش لكي تكون اللذات أمة للشخص ولا تكون سيدا مضطرا عليه. ويرى أن تعود ترك اللذات بما يساعد على اتباع الفطرة الخيرة ولذلك يقول: «إذا عزم المتعلم على طلب الطريقة الموافقة للفطرة السليمة وهو يأبي الملبس الخلق، والمطعم الجشب فهو غير خاليق بأن يحاضر».

وإن تلك المراقبة النفسية وتعود النفس خشن الحياة والسيطرة على اللذات والشهوات أول ثمراتها التمسك بالفضيلة والتمسك بالآداب، وأول ثمار التمسك بالآداب حسن المعاملة وحسن العشرة مع غيره من الناس ولذا يقول: ثمرة الآداب حسن العشرة، وإنما تسحسن سنة السلف الصالح الاشتهاها على هذه الصفة التي تراعى في جميع الشئون صغيرها وكبيرها، ولكن لو روى حسن المعاشرة من غير أن يضبط بالفضيلة ما استقامت الأمور.

فهو يرى أن المظهر الحسى للفضيلة حسن المعاملة والمعاشرة المقيد بقيودها ، ومن هنا نرى أن آراءه في الأخلاق تنبئى من الفرد . وتنتقل إلى إصلاح الجماعة بأن يكون الأفراد جميعا مقبدين أنفسهم بالفضيلة بحيث يجعل كل شخص من نفسه دافعا للفضيلة يبعثه على أن يعامل غيره معاملة مقيدة بالأخلاق الفاضلة ، فلا يظلم ، ولا يتعصب ولا يغلب رغباته ، ولا يجعل من نفسه مغلبا على الآخرين . ولذا جاء في كلامه « الرجل الفاضل لا يتحيز ، والرجل الفاضل لا يتعصب ، وهذه كلها آراء لو تمسك كل واحد بها لقامت جماعة فاضلة يرتبط آحادها بالخلق القويم من غير منافسة ؛ ولا مغالبة ، ولا تناحر .

١٩ - نرجو بهذه الكلمات أن نكون قد بينا فلسفة كونفوشيوس الخليفة ولنتقل إلى الناحية الثانية من نواحي آرائه ، وهى محاولته إصلاح المجتمع . وما تقدم نرى أن اصلاح المجتمع في نظره غير عسير بله غير متعذر وذلك أن يتمسك كل آحاده بقانون الأخلاق ، ولكن كيف السبيل إلى حمل العامة على التمسك بقوانين الأخلاق ؟ يرى ذلك غير عسير ؛ ولا بد من عاملين أحدهما دعوة الرجل أبى الاخلاق ، وانمازاه فى الناس ، وثانيهما جعل القامئين بشؤون الحكم متمسكين بقوانين الأخلاق . ولترك العنصر الثانى إلى موضع من الكلام على الناحية السياسية فى آرائه الخلقية ، أما دعائته إلى الأخلاق الفاضلة فتندسلك فيها ثلاثة مسالك .

المسلك الأول أنه دعا إلى احترام الآباء ، والعناية بشدة إلى تماسك الأسرة ، ولذا ترى فى كتبه عبارات كثيرة فى الدعوة إلى احترام الآباء وجعل ذلك أساساً من أسس الكمال فى نظره ، فهو يقول : « واجب الولد البر بأبويه إذا كان داخل المنزل ، والاحترام لذوى الأسنان إذا كان خارجه ، والصدق فى أقواله ، والرحمة بالناس فى كل أفعاله ، وأن يتقرب إلى الفضلاء ،

وإذا كان لديه فراغ من الوقت زجاه في كتب الأخلاق ، ولا شك أن الشخص إذا عني بالبر بالوالدين العناية الكافية لم يكن منه في حضرتها إلا ما يليق بالرجل الكامل .

فلارمتها مع العناية بالتجمل بالكمال في حضرتها أمدأ طويلا يجعل الشخص يعتاد الفضيلة والسلوك الحسن ، ولعل هذا هو السرفى أن الإباحية إذا سادت زمنا من الأزمان صحبها انحلال الأسرة ، وفك عقدة الاحترام التي بين الآباء والآبناء .

المسلك الثاني من مسالكه في الدعوة إلى الفضيلة مسلك التدرج فهو كان يدعو إلى الأخلاق في رفق ، ويعطى كل واحد من الناس مقدار طاقته في دعوته ، فهو يقول : « من الناس من نستطيع محادثته في العلم ، ولا يمكن أن نحمله على السير معنا بمقتضى الفطرة ، ومنهم من نستطيع أن نسير بهم على الفطرة من غير أن يكونوا ذوى قدم ثابتة فيها ، ومنهم من يكون ذا خلق قوي شديد التمسك بالفطرة والكمال الإنساني ، ولكن لا يمكننا مشاورته في تقدير الشئون . »

فهذه الطبقات المختلفة في استعدادها لقانونه الخلقى بكل طبقة لها حظ من الإصلاح تعالج به ، وتحمل على سلوك الجادة بمعالجته ، وقد حكى عنه أحد تلاميذه الذين لازموا أشد الملازمة أنه كان يرشد الناس بالتدرج إرشاداً حسناً ، ولتنقل كلام ذلك التلميذ المخلص فهو يقول في وصف آراء أستاذه وأثرها في نفسه : « إذا رفعت إلى آراء الاستاذ النظر رأيتها أعلى مما كنت أعتقد ، وهي ملء نفسي ، وتحيط بي ، وتستغرق كل حسي ، والأستاذ يرشد الناس بالتدرج إرشاداً حسناً ، وقد وسع بالعلوم مجال فكري ،

وهنبط بالآداب سلوكي ، حتى أني لو رغبت في ترك آرائه ما طاعته

نفسى . .

المسلك الثالث من مسالك دعوته إلى الخلق القويم القدوة والأسوة فهو يرى أن الرجل الفاضل يستطيع أن يؤثر بسلوكه القويم أكثر من أى بيان مهما تكن بلاغته ، ومن غير أن يتهم بالرياء في دعوته ، ولقد كان يدعو تلاميذه إلى السلوك الخلقى بأخلاقه ، كما دعاهم بكلماته ، فهو الذى يقول لهم : « اتظنون أنى أخفى عليكم شيئاً ، ما من أمر أعمله إلا فيه إرشادكم ، وهذه هى طريقتي فى التربية . »

٢٠ - كان إذن من مذهب كونفوشيوس أن يختلط بالناس ليصلحهم وليس من مذهبه أن يعتزل الناس وينقطع عنهم ، ولذا جاء فى كتاب الحوار « لا يمكن أن أعاشر الطيور والوحوش ، فلولم أعاشر هذه الأمة ، فمن الذى أعاشره ؟ لو كانت البلاد تحت سيادة عادلة ما كنت فى حاجة إلى محاولة لإعادة نظامها . »

وهنا يفترق نظر كونفوشيوس عن نظر الفيلسوف « لوتس » صاحب مذهب الطاوية . فترى لوتس بعد أن جرب وخاظ الناس ، وحلب الدهر أشطره . وعرف حلوه ومره ، انتهى إلى أن صار يرى أن الخير ليس فى محاولة إصلاح المجتمع الفاسد بالعمل والنشاط والدعوة ، بل الخير كل الخير فى الزهادة والاعتزال ، فلما التقى به كونفوشيوس ، وهو شاب متفتح الآمال ، مزدهر النفس ، وحاوره قال الشاب للشيخ : إذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يعتزل فى كهف من الكهوف ، فمن الذى يبقى فى المدن يعمرها ، وفى الأرض يفلحها ويزرعها ، وفى الصنائع يهر فيها ، ومن الذى ينسل ويعمل ليبقى الكون عامراً ببني الإنسان ؟ وإذا كان

الاعتزال مقصورا على الحكماء والفضلاء فمن الذى يرى الإنسان ويؤدبه؟
أم يترك الناس حائرين بائسين لا هادى ولا مرشد .

لذلك يتجه كونفوشيوس إلى الجماعات يصلحها ، ويؤدبها ، ويعظها ،
ولا يعتزل ويترك الناس في غيهم يعمهون . ولم تكن هذه النقطة وحدها هي
التي افترق عندها الحكيمان ، بل تخالفا في أساس آخر من أسس المعاملة بين
الإنسان ، وهي جزاء السيئة أو سيئة مثلها أم عفو وتسامح؟ يرى لوتس أن
العفو والعفو هو ما يجب أن يعامل به المسيء ، أما كونفوشيوس فيرى أن
المسيء يعامل بالعدل وليس من العدل العفو عن سيئته ، بل أخذه بمجريرة
عمله ، فالمسيء لا يعنى عنه ، ولكن يعدل معه لا يظلم ولا يظلم .

٢١ - ولنترك الآن محارلته أن يصلح الأخلاق بشخصه من غير أن
يستعين بسلطان الحكم ، ولنتفضل إلى الناحية الثانية من النواحي الخلقية ،
وهي آراؤه في السياسة ، ولا نقصد بآرائه السياسية ما يجرى به العرف الآن
من الآراء في أصل نظام الحكم ، ولون النظام أهوديمقراطى أم ارستقراطى
أم حكم الفرد ، ولا بيان توزيع السلطات في الدولة ، واختصاص كل سلطة
فتلك أمور لا تعنيه ولكن الذى يعنيه هو مقدار القسط الذى يقوم به
السياسة من إصلاح في الأخلاق ، وما يجب أن يتبعوه ليكون حكمهم صالحا
للوصول إلى الغاية منه ، وهي إصلاح أخلاق العامة ، وما يجب أن يتصف
به الحاكم من أوصاف ويتجلى به من أخلاق وما يصح أن يكون موصلا
لتولى المناصب ، ثم الأوصاف العامة للحكومة الصالحة للقيام بهذه المهمة
الخلقية ، وواجب الحكماء عند تنكب السبيل ، هذا ما يعنى به كونفوشيوس
وما نشير إلى آرائه فيه في هذه الإمامة الموجزة .

يرى كونفوشيوس أن السياسة الحكيمة هي ما تقوم على الأخلاق

القويمة ، فليست السياسة بمنفصلة عن الأخلاق ، ومن فصل الأخلاق عن السياسة فهو لم يفهم الغاية من السياسة ، ولا الغاية من الأخلاق في نظر كوفوشوس ، إن الغاية السامية من السياسة هي اصلاح الأخلاق ، وقد يكون من واجب الدولة أن تعنى بتوفير الخبز للامة ، وأن تعنى بالقيام على الميزانية ، وتنظيم دخلها وخرجها ، ولكن الغاية السامة أو الواجب الأمثل هو في اصلاح أخلاق الناس وتهذيبهم ، وليس السياسى المستقيم من يستطيع أن يحكم بالعدل والإنصاف فقط بل السياسى حقا من يستطيع أن يهذب الرعية حتى لا يكون ظلم ، ولذا يقول : « إنى فى الفصل بين المتخاصمين كغبرى من الناس ، ولكن السياسة الحكيمة أن تهذب الرعية ، حتى لاتكون مخاصمة . »

٢٢ - ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ لقد رام صعبا وطلب عسيرا ، هذا ما يبدو لنا ، أما هو فيرى أن الأمر ليس من العسر بالقدر الذى يلقى اليأس فى قلب الحكيم الطالب للإصلاح الذى يسلك سبيله ، فهو يرى أن الملوك والقادة فى السياسة يؤثرون بأخلاقهم أكثر مما يؤثرون بقوانينهم ، فهو يعتقد اعتقادا جازما أن العامة يسرون على أخلاق حكامهم ، فإن كان حكامهم صالحين صلحوا وإن كانوا معوجين فسدوا ، ولذلك يجعل أساس اصلاح أخلاق الناس أن يكون حكامهم ذوى أخلاق ؛ فهو يقول فى قوة وإيمان بما يقول « إن الحاكم إذا شغف بالآداب الفاضلة لا يجترى أحد من رعيته على إهانة غيره ، وإذا شغف بالصدق لا يجترى أحد على الكذب ، ومن هذه حاله أقبل عليه الناس حاملين أولادهم على ظهورهم . »

فاقتداء الناس بحكامهم الصالحين هو الطريق الأول لتهديب الناس ، وهو لا يعتقد أن تحلى الحكام بالأخلاق الفاضلة أساس اصلاح العامة فقط . بل أساس طاعتهم أيضاً ، فإن الناس لا يطيعون إلا من يرون فيه الاستقامة والمحافظه

هلى الاداب العامة ، فهو يقول : « ان كان سلوك الرئيس مستقبيا اطاعه المرموسون من غير ان يأمرهم ، وإن كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو أمرهم ، هو لهذا لا يفهم أن الطاعة بالأحكام الرادعة ، والقوانين الزاجرة ، والأوامر القاسية ، إنما الطاعة فى نظره ما كانت عن رغبة النفس ، واقتناعها ، بأن الحق فيما تؤمر به وتدعى إليه ، وليست لإجابة الأمر مكرهة تقى المحيب وهو يحاول التخلص من تأنيب الضمير ، ولذلك يرى أن قيادة النفس بالآداب والأسوة الحسنة هى التى تتبعها الطاعة التى لا يحاول الشخص فيها العصيان إلا وتأنيب الضمير يرصده ، فهو يقول « الرعية إذا قادت بالآحكام الصارمة والعقوبات الزاجرة فستحاول التخلص منها . وهى غيره مستحيية من مخالفتها ، وإذا قادت بالفضائل وأصلحتها بالآداب تستحيى من ارتكاب الجرائم وهى صالحة . »

٢٣ - ثم إن أول الأسس التى يجب أن يعتمد الحاكم عليها ثقة الرعية به ونبيله محبتها ، فيجب أن يعمل على نيل هذه الثقة ، واجتذاب الجماهير لتجد أوامره لإجابة من القلوب ولا نجد مظهر من الخضوع ، ولذلك يوصى الحكام بالمعناية بهذه الثقة إلى درجة أنه يرى أن العمل لها يكون قبل العمل لقوت الناس أو الإعداد للحروب ، لأنها أساس قوة الحكم ، وهو من غيرها قسر وإرهاب وإرهاق وعنت يولد أخوة .

وإن أطاع الناس رهبة وخوفا انقطع الجبل الموصول بين الحاكم والمحكوم ، فتضطرب الأمور وتهزع الأخلاق وتفسد النفوس . سأل أحد تلاميذه عن ضروريات السياسة فقال : « من ضروريات السياسة الاقوات الكافية وذخائر الحرب الواقية ، وثقة الرعية . »

فقال التلميذ : لو اضطرتنا إلى حذف واحد من هذه الثلاثة فبأيها

نبتدىء بالحذف؟ قال : « احذفوا ذخائر الحرب ، قال : « لو اضطررنا إلى حذف أحد هذين الأمرين فأيهما نحذف؟ وأيها نبقى؟ »

قال : « احذفوا الأقوات ، فإن الموت حظ الإنسان منذ الغابر من الأزمان ؛ ولكن السياسة لا تقوم إلا بثقة الرعية . . »

وإذا كانت ثقة المحكومين أساس الحكم ، فالواجب الأول على الحاكم لكي يقوم بواجبه الخلقى على الوجه الصحيح أن يجتهد في العمل على جلب هذه الثقة ، ولا شك أن أخذه هو بمبادئ الأخلاق أساس لجذب ثقة الناس إليه ، والقرب من الناس والتداني مع الاحتشام والتجمل والوقار كذلك فلا يجعل هوة بينه وبينهم ، ولا يتبذل معهم في قول أو عمل ، ويرى أن الشفقة بالناس أساس من أسس الثقة وداع من دواعي الإخلاص للحاكم .

سأله أحد تلاميذه قائلاً : « كيف يجعل الحاكم رعيته يحلونه ويثقون به مخلصين ويتواصون بالخير فيما بينهم؟ » فقال مجيباً : « إذا قابلهم بالسمت والوقار أجلوه . وإذا كان باراً بوالديه شفيقاً على قومه أخلصوا له ، وإذا رفع الصالحين وأعان العاجزين تواصوا بالخير . . »

٢٤ - وإن من أشد الأمور لزوماً لجذب ثقة الناس والوصول إلى الغاية السامية من السياسة ، وهي التهذيب أن يولى الحاكم الصالحين فإذا كان « كورنوشوس » يرى أن أولى طرائق تهذيب الناس ، وحملهم على السير على الجادة الاقتداء بالحاكم في سلوكه القويم ولذا أوجب أن يكون سلوكه على سمت الأخلاق ، فكذلك يجب أن يكون أعوانه من هذا القبيل فلا يولى إلا الصالحين ، وينزع الولاية من الطالحين ولا يدينهم إليه ، فإن إدنائهم منه مضعف للثقة به . ولقد سأله أمير مقاطعته قائلاً : « كيف نكتسب طاعة الرعية؟ » فأجابه بقوله : « إذا أعلى الصالحون وأبعد

الطالحون أطاعت الرعية وإذا أفضى الصالحون ، وأدنى الطالحون عصت الرعية ، فولاية أهل الصلاح في نظره تجذب الناس إلى الثقة بالحاكم ، وتحملهم على طاعته ، وتساعد الحاكين على الوصول إلى غايتهم السامية من تهذيب الاخلاق ، ولذا كان يقول : لو تداولت أيدي الصالحين شئون الدولة لمدة قرن واحد لتهذب الظالمون جميعاً ، ولا استغنى الحاكم عن عقوبة الإعدام ..

ولأنه يرى أن تولى الصالحين يعين الحاكم على تنفيذ مهمته الخلقية يستحسن لذوى الأخلاق والصلاح أن يتولوا مناصب الدولة ويطلبوها إن كان الحاكم عادلاً ، لأن من يتولى المنصب من قبله يعينه على العدل ، بل إن تقديم الخدمة في ذلك الوقت فريضة لازمة على أهل الصلاح ، ولذا يقول في قوة :

« آمن بالحق ، وأحب العلم ، واتبع الفطرة ، ولا تقم في مملكة ساداتها الفوضى واطاب المنصب إذا كانت البلاد محكومة بسياسة حكيمة ، واعتزل إذا كانت تحت سياسة غاشمة ، فمن العار أن تفتقر وتبتعد ، والبلاد تحت سياسة عادلة ، ومن العار أن تغنى وتعز والبلاد تحت سياسة غاشمة ، .

وإن كان طلب المنصب لارما على من هو أهل له إن تعين فمن الواجب قبله أن يعنى الرجل تأهيل نفسه له ، فليس الغرض أن يتولى ليستمتع بسلاطان الحكم ، وجاه المنصب ، بل الغرض أن يصلح ويعين على الإصلاح ، فهو لا يطلب المنصب ، لأنه رغبة يؤمله الحرمان منها ، بل يطلبه لأنه تكليف إذا نوافرت المؤهلات له ولذا يقول :

« لا يكن همك أن تتولى المنصب ، بل ليكن همك ما يؤهلك لهذا المنصب ، ولا تهتم بجهل الناس قدرك ، بل اهتم بالفضل الذي تريد أن يعرفوك به »

ثم لأنه يوجب هلى طالب المنصب ألا يجعل عناية موجبة إلى مقدار المرتب من المال ولكن ليجعل عناية فى القيام الواجب لذات الواجب . ولذا يقول :

« من يخدم الأمراء فليجعل العناية بأداء الواجب فى المحل الأول، وأمر الراتب فى المحل الثانى ، .»

فالإخلاص للواجب هو الأمر الذى يجب أن يعنى به صاحب المنصب . ذكر أحد تلاميذه أن وزيراً من الوزراء تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات، فلم يظهر على وجهه أماراة الابتهاج فى واحدة منها ، واستقال ثلاث مرات، فلم يبد فى واحدة منها على وجهه الاكتئاب بل كان يخبر الوزير الجديد بجميع ما حصل فى شئون الدولة فى عهده ، فقال كوفوشيومس : قد كان مخلصاً ، فالإخلاص على ذلك فى نظره يجعل طالب المنصب يطلبه لأنه واجب من غير أن يطير فرحاً لأهبة الحكم ، ويتركه لعجزه عن أداء الواجب من أن يمضه الألم لفقده جاه السلطان ، فالمنصب تولىه واجب لذوى الأهلية له ، ليس فيه مغم للخلاص . ولا فى فقده مغرم ، لا يطلب للشهوة ولا يشعر المخلص عند تركه بمضاضة الحرمان .

وبينا هو يرى أن الفضلاء إن سعوا للناسب فى الحكومة الفاضلة ، فقد سعوا فيها هو حق وواجب ، يرى أن الواجب على الصالحين أن يعتزلوا المنصب إن كانت الحكومة غير صالحة ، وعجزوا عن إصلاحها لشهوات استمكنت فى روس من هم أعلى منهم ، وتعذر عليهم حملهم على الدرب وقد اعتزل هو منصبه لما رأى أن أمير المقاطعة قد استولت عليه الشهوات واستحوذت على بصيرته ، ولما ناقشه تلاميذه فى اعتزاله مناصب الدولة قال لهم : « لماذا يهكم أن يفقد أستاذكم منصبه !! إن الملاد قد خلت من

العدل والاستقامة من زمن بعيد ؛ وستتخذ السماء أستاذكم ناقوسا لها .

٢٥ - وإذا كانت الحكومة مستقيمة وهي التي يكون الحكم فيها على مقتضى قانون الأخلاق كان من آثارها أن تكون الأمة قوية شجاعة مهما أحاط بها من أسباب الضعف ، ومهما يكن بها من فقر فهو يرى أن الفضيلة تجعل النفس عامرة بالشجاعة متمثلة بالقوة مطمئنة إلى الغاية وهو يرى هذا الرأي واثقا به ولم يكن قد رآه عن حدس وتخمين ونخبيل جميل بل قد رآه عن خبرة وتجربة .

وبمثل ما يقال في سياسة هذا الحكيم أنها الأخلاق الفاضلة فهي عدة الحكام وعتادهم وهي غايتهم ومرتجائهم وهي المطلب - ح الاسمي وهي البندرة الصالحة يلقيها الحاكم في أمته فتلبت أزكى النبات وتثمر أطيب الثمرات . وما كان هو إلا نموذجاً للحاكم الصالح ، حكم فلم يخالف حكمه آراءه ولم يبعد السلطان بينه وبين كلماته . ولقد قال فيه أحد تلاميذه : « إن رتبة الأستاذ كونه فوشوس ، لا يمكن أن يصل إليها أحد كما أن السماء لا يمكن أن يصعد إليها أحد ، لو كان للأستاذ حظ من الإمارة أو الرياسة لصدق عليه قول القائل : إن أقام الرعية قاموا سراعا وإن هدام سارعوا وإن أراحهم آروا منه إلى ظل وأرف وإن عاش عاش جليلا وإن مات لقيت بموته النفوس حشرات فكيف يمكن أن يصل إلى رتبته غيره !! »

٢٦ - هذا هو الفيلسوف الحكيم الذي لا تزال الصين تجله على اختلاف مللها ونحلها ، وهذه إشارة موجزة إلى آرائه الخلفية التي لا تزال في الصين نبراسا يهتدى به الكثرة الغالبة فيهم . ويجدر بنا أن نقول إن ذلك الحكيم لم تكن عنايته الكبرى متجهة إلى تأليف كتب ، ولكن عنايته كانت متجهة إلى تكوين نفوس ، وإلى تربية طائفة من التلاميذ يكونون نواة لتربية

جيل ، وبذلك تتوارث آراءه الأجيال ، وجدتها لانبلي لأنها تجد غذا من نفوس الناس .

ولقد دون تلاميذه آراءه ، ومنها بين أيدينا كتاب الحوار ترجمه من الصبية إلى العربية صديقنا الأستاذ محمد مكين . وهو روضة ناضرة الأزهار يرى فيها القارىء صورة صادقة لآراء كرفوشسيوس الخلقية والسياسية ويستشف من ثناياه روح العطف بين الأستاذ والتلميذ إذ يرى فيهم أسرة شريفة لم تجمعها لمة نسب أو صلة ، ولكن جمعها لمة علم وعاطفة رحمة .

ولكوفوشسيوس مؤلفات أخرى ألفها هو ، وهي تلخيصات وشرح للكتب المقدسة القديمة التي نسخها وشرحها وعلق عليها إحياء لآداب القدماء من الصبيين ، وقد كانت شروحه وتعليقاته متضمنة منهجه وآراءه في الدين والاخلاق ، والسلوك القويم .

وثنية اليونان

١ - اليونان الأقدمون كانوا يؤلهون ظواهر الطبيعة ويعبدونها ، كما فعل المصريون من قبل ، وذلك ظاهر في آلهتهم الأولى ، فإنهم ألهو السماء ، والأرض والبحر ، والشمس ، والزمن ، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل لحظوا بعد ذلك الصفات الأدبية في الأحياء ، وفنونهم ، وما يؤثر فيهم فجعلوا لكل واحد منها إلهة أو إلهة . ومن ههنا الآلهة هيراربه القوة المنتجة في الطبيعة وآريس أو المربح إله الحرب وأبولون إله الموسيقى والنور ، وهراميس رسول الآلهة ورب الفصاحة والبيان ، وأثينا ربة الحكمة وافروديت ربة الحب الجميل وديونيسوس رب الخمر والتبيل والتيراجيني ، أو المحزن .

٢ - وكان لكل مدينة أربابها الخاصة بها ، ومعبودات لها كثيرة ، وإن اتحدت في الاسم مع أرباب المدينة الأخرى فالمسمى يختلف ، فأبولون في مدينة لينس هو أبولون في مدينة أخرى ، وإن اتحد الإسمي ، ولكن مع هذا الاختلاف كانت هناك أرباب كثيرة أجمع اليونان في الجملة على عبادتها وتقديسها كالسما والارض والبحر ، ولها في كل مكان معبد خاص بها ، أو مزار يتقرب فيه إليها ، وإن الأرباب التي يشترك اليونان في تقديسها كثيرة جدا ، وكلها يمثل أعظم القوى الطبيعية تأثيرا في الكون ، ومن هذه زيوس المشتري ، وهيرا وإثينا وارتيمس وهرميس (عطارد) وآريس (المربح) وافروديت (الزهرة) وكرونوس (زحل) وهكذا .

٣ - وأرباب اليونان يزعمون لها التجسد ، ويتصورون لها حياة كحياة

الإنسان وعلى أكل وجه من أوجه الحياة الإنسانية الجسدية والشهوانية
والنفسية، فيصورون لهم كائنا حيا في أبهى مظاهر الحياة من الصور البشرية،
ويتمثلون المعبود أو المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة أو امرأة
وسيمة الحيا، ويذكرون لألهتهم من الصفات ما يليق بالإنسان من اعتدال
قامة، واتساع بالثياب الجميلة، وتحل بالذهب والفضة. وهذا هو ميروس في
أحدى قصائده يقول عن بعض الآلهة، أنداريس وأثينا كانا يقودان الجيش
وكلاهما متشح بالذهب، وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تلبق
بالأرباب، إذ البشر أقزام قصار القامات، ولكل رب من أربابهم هيئة
وهندامه وخصائصه فالربة أثينا ربة الحكمة عندهم مثلا على صورة عذراء
ذات عيين براقين، تحمل رمحا، وعلى رأسها خوذة، وعلى صدرها
سلاح لامع.

وللأرباب كاللبنشر أقباء وأولاد وأسر، فأمهم ربة واخوتهم أرباب
أو نصف أرباب، وللأرباب تاريخ وحوادث وقصص، فالرب (أبولون)
له ولد مثلا ولد في جزيرة ديلوس، وكانت لجأت إليها أمه.

ولقد صوروا لكل رب من هذه الأرباب تمثالا يعبد. ولقد كان
للتماثيل الكبيرة محال خاصة بها يرفعون أن الآلهة توحى إليهم فيها على
لسان الكهنة، ويتقربون في تلك المحال للآلهة بالفرايين والندور، وأشهرها
معبد (دلقي) لأبولون بمدينة (فوكيس).

وقد بقيت تلك الديانة، حتى ظهرت المسيحية فغالبتها حيناً من الزمن
وقضت عليها، ولكن بعد أن أثرت أبلغ الأثر في المسيحية فلسفة
الإغريق، وفنونهم.

وثنية الرومان

١ - اعتقد الرومان ، كما اعتقد اليونان من قبل بأن كل ما يحدث في هذا العالم هو بما قضت به إرادة خالق له : ولكنهم لم يعتقدوا بوحداية الخالق ، بل عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة التي تتجلى فيها أوامر آلهتهم ونواهيها ، فهناك رب يبيت البذر وآخر يحمي الحقل ، وثالث يحرس الثمار وهكذا ، ولكل رب اسمه وجنسه وعمله ، فعندهم للسماء إله وللحرب إله وللشجاعة إله كما عند اليونان وسموا إله السماء جوبيتر وإله الحرب مارس وإله الشجاعة هركوليس ، وهو ما يسمى عند اليونان هركليس ، وقد قبسوا أيضاً بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء ، فعندهم ايزيس إله القمر واوزيريس إله الزراعة ومراميس إله الشفاء ، وكلها أسماء مصرية لآلهة مصرية. وإن الأرباب قد تعددت عند الرومان جداً فلكل مظهر من مظاهر الحياة رب ، ولكل قوة في الإنسان رب ، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمه النطق ، وربة تعلمه الشرب ، وأخرى تقوى عظامه ، وربان يرافقانه إلى المدرسة ، وآخران يرجعان به . ويعتقدون أن هناك أرباباً للدينة ، وللكتابة وللجبل ، ولكل نهر ، لكل نبع ، ولكل شجرة رب خاص ، ولقد قال الكاتب اللاتيني بترون في إحدى قصصه على لسان امرأة صالحة : « إن بلادنا خاصة بالأرباب ، بحيث يسهل عليك أن تلقى فيها ربا من أن تصادف رجلاً . »

٢ - ولقد أتى عهد على الرومان كانوا يعبدون فيه تلك الآلهة المتعددة من غير أن يتخذوا لها تماثيل بل كانوا يعبدونها من غير تماثيل خاصة

لكل إله ، فلم يكن في رومية في ذلك العهد صنم . ثم اتخذوا بعد ذلك الأصنام من الخشب أولاً ، ثم اتخذوها من الرخام على مثال أصنام اليونان . ولم تكن آلهتهم على صورة حية من البشرية كآلهة اليونان فلم يصفوها بما يتصف به البشر من نجاب وتباغض وتقاتل كالليونان . ولم يفرضوا أن بين الأرباب صهراً أو نسباً وأن لكل إله تاريخاً يتدى من مولده بل كل ما ينحلونه للرب من أربابهم أنه يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ، ويعمل للناس الخير والشر على ما يجب ويريد .

٣ — ولقد كان الرومان يؤمنون بالطيرة أو الفأل فيذهبون إلى أن الأرباب يعرفون ويرسلون للناس آيات يدركونها فيستنصح الروماني الأرباب قبل أن يشرع في عمل ، فإذا أراد الحاكم عملاً يجمع لديه مجلساً ينظر إلى الطيور السائرة ، فإذا كانت فيها إشارة موافقة يدركون أن الأرباب استحسنت المشروع ، وإلا كان معناه أنهم غير راضين عنه .

ويزعمون أنه كثير ما يرسل الأرباب آياتهم من غير أن يسألوا ، ويزعمون أنه قد ظهر نجم ذو ذنب يوم موت قيصر فكان إشارة نعيه .

ولقد كان الرومان يقدسون الأمباطرة ، ويقيّمون المحارب .

ما يشتمل عليه الكتاب

٣ - الافتتاحية .

٥ - ١ - الديانة المصرية القديمة

٥ - شدة تدين المصريين - ٦ - دخول الدين في كل أعمالهم - زعم بعض المؤرخين أنهم كانوا موحدين - ٧ - تغير عقائدهم بتغير أقاليمهم - دخول التوحيد الأرض المصرية - ٨ - عهد يوسف - ٩ - لا يخلو ما ضيقتهم من دهوات التوحيد - ١٠ - محاولة الكهنة حمل المصريين على آلهة واحدة - ١١ - تقديس فرعون - ١٣ - تقديس بعض الحيوانات - ١٤ - الحافر على عبادة بعض الحيوانات - ١٥ - العجل المقدس وأوصافه - ١٦ - الحياة الآخرة - ١٧ - النفس الإنسانية وصلتها بالإيمان بالحياة الآخرة - ١٨ - كتاب الموتى وما يشتمل عليه .

٢١ - ٢ - البرهمية

٢١ - الهندو والآرية - ٢٢ - ديانتهم القديمة قبل البرهمية - ٢٣ - التمازج بين الديانة القديمة والبرهمية - ٢٤ - عقائد الخاصة وعقائد العامة وادعاء البيروني أن الخاصة موحدون - ٢٥ - النقول التي ساقها - ٢٦ - مناقشة رأيه - ٢٧ - منشأ الوثنية في الديانة البرهمية والآلهة عندهم - ٢٨ - الأقاليم عندهم وحلول الإله في بعض الأشخاص - ٢٩ - اعتقادهم في كرشنة ، والموازنة بين كلام فيه ، وكلام النصراني في المسيح .

٤٣ - النفس وخلودها عندهم وتناسخ الأرواح - ٤٤ - الأوس التي بوا عليها خلود الروح - التناسخ والأوس التي قام عليها ، وحقيقته .

٤٥ - نظام الطبقات في الديانة الهندية . طبقة البراهمة - ٤٦ - طبقة الجند - طبقة الزراع - طبقة الخدم والأسرى - الآداب الخاصة لكل طبقة - ٤٧ - الأجماع - ٤٨ - الطبقة تدخل في العبادة ، ونوع ما تفرزه كل طبقة .

- ٤٩ - الحياة الآخرة عند الهنود - حال النفس بعد خلوصها من الجسد .
 ٥٠ - كتبهم - الفيذا - ٥١ - مجموعات الفيذا ، وأقسامها - صرفهم عن أن
 بأنوا يمثلها ومذهب الصرفة الذي دخل على المسلمين - ٥٢ - البرهديات .

٥٣ - ٣ - البوذية

- ٥٣ - حياة بوذا - ميلاده وتزوجه - اتجاهه إلى الانصراف عن المآذ -
 ٥٤ - دعوته إلى ذلك - ادعاء حلول الله فيه - ٥٥ - الموازنة بين أقوال البوذيين
 فيه ، وأقوال النصارى في المسيح .
 ٦٩ - آراء بوذا والإلهيات ، وادعاء بعضهم أنه أنكر الإله ، وأنكر النفس
 ٧٠ - رد ذلك الكلام .
 ٧١ - المذهب البوذي العملي - ٧٢ - رياضة النفس والممر الوسط -
 ٩٣ - المستقيمات الثمانية ، الاتجاه المستقيم ، والإشراق والتفكير المستقيم ،
 والاطمئنان ، واللفظ المستقيم والسلوك المستقيم ، والحياة الصحيحة ،
 والحمد المستقيم .
 ٧٥ - أصول الرذائل - ٧٦ - الوصايا البوذية . انقسام البوذيين في الأخذ
 بهذه الوصايا - ٧٧ - ما بين البرهمية والبوذية .
 ٧٨ - كتب البوذية .

٨٠ - ٤ - الكونفوشية

- ٨٠ - العقلية الصينية ، وطبيعتها العميقة - ٨١ - الأخلاق الصينية - ادعاء أن
 الصين كان فيها رسل - الفلسفة الصينية وصلتها بالدين - ٨٢ - دعائم الأخلاق
 هندم - ٨٣ - حياة كونغ فوس ، وهو كونفوشوس - معنى اسمه بالصينية .
 نشأته وأصله ونبل نسبه - ٨٤ - تعليمه - ٨٥ - طوافه في الأقاليم الصينية . التقاؤه
 بلوتس صاحب الفلسفة الطاوية - ٨٦ - توليه إمارة في بعض المقاطعات ورأيه
 في السياسة الحكيمية ، ونجاحه ، ومخالفته بعد نجاحه لوالى المقاطعة - ٨٧ - رأيه
 في الصلة بين أخلاق الرؤساء وسياسة الحكم . تركه الولاية ، وهدوته إلى مسقط
 رأسه - ٨٧ - تركه الطواف بعد وفاة وحيدته وتلميذه - انصرافه للتأليف والتدريس .

٨٨ - عقيدة كونفوشيوس - ربطه بين حكم السماء ، والأرواح وأرواح الآباء ،
اعتقادهم أن حكم الكواكب يوجب العدل في الرعية - ١٠٠ - هبأذتهم القوي
المسيطرة - مآل الأرواح بعد الموت .

٩١ - آراؤه في الأخلاق :

٩١ - تأثر الأحداث الكونية بأخلاق الناس عنده مع الصينيين - ٩٢ - الإنسان
مفطور على الخير بحكم انسجامه مع الكون والأرواح - ٩٣ - الرحمة أخص ما يجب
أن يسود الناس - قوانين الأخلاق لا تنفصل عن السياسة عند قدماء أهل الصين
٩٤ - اضطراب الأخلاق - ومحاولة كونفوشيوس الإصلاح - ٩٥ - أول أسسه
تعيين معاني الألفاظ والأسماء وتوضيح معنى ذلك ، وصلته بالسياسة والأخلاق
٩٦ - عنايته بالألفاظ لمعرفة الحق ، ومراتب معرفة الحق - ٩٧ - المعرفة
مقصودة على دراسة الأشياء ، لا على دراسة الغاية من الخلق والتسكوبن - ٩٨ - طلب
الفضيلة من كآل الإنسان ، والموازنة بين ذلك الرأي وفلسفة كانت الألماني
٩٩ - قد يغالط الإنسان الفطرة وصلاح ذلك - ١٠٠ - مراقبة النفس -
١٠١ - دعوته إلى احترام الآباء واعتباره مسلكا من مسالك الدعوة إلى الفضيلة
١٠٢ - بقية مسالك الدعوة إلى الفضيلة - ١٠٣ - اختلاطه بالناس لإصلاحهم ،
واختلافه عن مذهب الطاوية الذي يدعو إلى الانزواء .

١٠٤ - آراؤه في السياسة :

١٠٤ - السياسة الحكيمة تقوم على الأخلاق - ١٠٥ - الساسة يؤثرون بأخلاقهم
أكثر مما يؤثرون بقوانينهم - ١٠٦ - أشد دعائم الحكم ثقة الرعية - ١٠٧ - اختيار
الصالحين للعمل يجذب ثقة الرعية - ١٠٨ - يجب على ذوي الأخلاق الصحيحة أن
يتولوا الولايات ، ولكن عليهم أن يتعرفوا ما يؤهلهم في ذات أنفسهم للحكم
١٠٩ - الإخلاص في أداء الواجب هو أول مؤهل - ١١٠ - وجوب اعتزال
المنصب إذا كانت الحكومة غير صالحة - وارتباط قوة الأمة بأخلاق حكمها -
كلمة مجمل في فلسفته .

١١٢ - وثنية اليونان وتعدد آربأهم ، وتماثلهم

١١٤ - وثنية الرومان ، وصلتها بمعتقد المصريين .